
روايات مصرية للجيب
ماوراء الطبيعة
أسطورة
النافاراى
16
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

١٦

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة النافاراي

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة
الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٠،١٦ شارع كامل صدقي الفجالة – ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري
روكسي مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤ – ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

١٦

أسطورة النافاراي

بقلم:
د. أحمد خالد توفيق



مقدمة

تحية لكم!..

هو ذا مضيفكم (رفعت إسماعيل) يواصل سرد حكاياته..

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل)، أستاذ أمراض الدم الذي يقترب - حثيثًا - من السبعين، والذي لم يتزوج قط..، والذي قضى زهرة شبابه جوار توابيت مصاصي الدماء.. وفي الأقبية المسكونة.. والغابات التي يجوبها المذءوبون في ضوء القمر..

التفوا حولي ولا تخافوا..

إن الليل ما زال في أوله أو - كما يقول الإنجليز - ما زال الليل طفلًا.. ولدينا

ساعات طويلة نقضيها معًا نرشف أقداح الشاي ونثرثر..

فقط - عدوني - تحملوا نبرة صوتي الواهنة، ورجفة أطرافي، وسعالى المتحشرج.. وطبعًا رائحة التبغ التي تفوح من كل شيء في عالمي..

إن حديث الشيوخ ممتع أبدًا..

لأنهم - وقد قاربوا الأبدية - دنوا أكثر من الحقيقة.. وتخففوا من القشور المملة السطحية.. ونسوا آفة التظاهر بالحكمة..

أنا كنت صغيرًا يومًا ما وكنت أعشق ثرثرة الشيوخ في الليل..

سأحدثكم اليوم عن (النافاراي)..

تذكرون - ولا شك - أسطورة الكاهن الأخير التي لم أستكملها بعد، ولا أدري

السبب في الواقع.. إنني أشيخ.. وذاكرتي تتداعى، لكني لم أنس التفاصيل قطعًا..

لنقل إنني لم أنس القصة لكنني نسيت ضرورة حكايتها!..

والآن دعونا نستكملها وسامحوني على كل هذا التأخير..

إن (هن - تشو - كان) عائد لكم.. فأفسحوا له مجالًا بينكم..

فلننعش ذاكرتنا!

دعوني أذكركم بما حدث حتى لا أكلفكم مشقة البحث عن الكتيب الحادي عشر، ومحاولة تذكر ما إذا كنتم قد وضعتموه على رف المكتبة.. أم فوق جهاز التلفاز.. أم تحت الفراش، وما إذا كنتم قد أقرضتموه أم بعتموه.. أم استخدمتم أوراقه لتلميع مرآة الحمام.. أم ألقيتم به في أقرب صندوق قمامة؟..

لا ترهقوا أنفسكم ودعوني أُعِد حكاية ما حدث..

لقد تربى (هن - تشو - كان) في أحد أديرة التبت، بعد ما نذرته أمه لذلك الدير..

وهناك اصطلح على تسميته (الزهرة الزرقاء) لتفرده..
إن هذا الدير ليس بوذيًا.. بل هو خاص بعقيدة غريبة كانت سائدة في القرن الخامس عشر هي عقيدة (النافاراي)..
وفي الدير يدرك الصبي أن هؤلاء الرهبان يمارسون فنًا عجيبًا هو فن تفادي الخطر، أو القتال السلبي..، ويكون عليه أن يخوض تدريبات قاسية مع الأخ (ميانج) يحرز فيها تقدمًا ملحوظًا..
وتكون الذروة هي عبوره لنفق (النيران الراقصة) حيث الاختبار الحق لقدرته على التفادي، وبالطبع ينجح نجاحًا مشرفًا..
وهنا اسمحوا لي أن أقدم خصمه الحميم - أو صديقه اللدود - المدعو (جينغ - تشا)..

هو ليس نقيًا متبتلًا إلى هذا الحد.. وليس خصمًا شريفًا على الإطلاق.. سيأتي دوره المقيت بعد لحظات..

وينتقل (هن - تشو - كان) إلى مرتبة أعلى..

إذ يطلعه الكاهن الأكبر على كتاب (شوكارا).. الكتاب الذي يمثل كل ما كانه (النافاراي) وكل ما سيكونونه.. إنه سر الأسرار وقدس الأقداس بالنسبة لهم..

والآن يبدأ الفتى - الذي عرف هذا السر الكهنوتي - في تعلم القتال الإيجابي (سارايانا)، ليتمكن من حماية الدير وحماية كل مقدساته..

و (السارايانا) رياضة عسكرية معقدة قائمة على مهاجمة عدة مناطق حساسة في

جسد الخصم بعضها يؤدي للإغماء.. وبعضها يؤدي للشلل.. وبعضها - للخصم المتحمس حقًا - يؤدي للوفاة..
لكن قواعد القتال تحتم إنذار الخصم أولًا بأن الـ (سارايانا) ستبدأ وقد أعذر من أنذر..

* * *

وفي يوم كئيب يدرك الفتى أن خصمه (جينغ - تشا) قد تحالف مع كهنة الـ (ماهايانا) أعداء (النافاراي) الطبيعيين.. وثمن هذا التحالف هو كتاب الـ (شوكارا)..
لقد مات كل (النافاراي) مسمومين بالشاي..

ويكون على الفتى أن يفر بالكتاب الثمين بعيدًا..

لقد صار هو الكاهن الأخير.. آخر (نافاراي) على وجه الأرض، ولئن هلك هو أو أسلم الكتاب فلن يبقى أثر لهذه الفلسفة العظيمة إلى أبد الدهر..

وفي الكتاب وجد أسلوبًا بديعًا. لكنه خطر - يدعى (شانكين)..

يعمد أسلوب (الشانكين) إلى نقل الفتى إلى زمن بعيد وأرض بعيدة غير محددين سلفًا.. ولكن الفتى لا يملك ترف الاختيار..

ويفر.. يفر بعيدًا..

إلى أرض لم يرها من قبل، ووجوه سمراء لم يألفها قط..

ونعرف نحن أنه وصل إلى (مصر) في القرن العشرين.. إلى قرية (كفر بدر) قريتي الحبيبة! (إنها مصادفة غير عادية لكننا اتفقنا على أن تصدقوها)..

ويجيد الفتى التخفي متظاهرًا بأنه معتوه.. ويندمج في أسرة أحد الخفراء وتنشأ علاقة حب مبتورة بينه وبين ابنة الخفير التي لم تصدق قط أنه ذلك الأبله الذي يدعيه..

ويصدق حدسها حين تقع فريسة لبعض اللصوص الذين يوشكون على إيذائها مما يضطر الفتى إلى استعمال أسلوب (السارايانا) للدفاع عنها برغم ما في ذلك من فضح لسره..

لكنها لم تسعد بذلك..

لقد انتابها الذعر وأدركت أن هذا الأجير الذي يعيش معهم هو نوع من الجان أو الشياطين..، وكان أن لجأت إلى خبير الشياطين الوحيد الذي تعرفه..

أتعرفون من؟.. طبعًا أنا ولا فخر!

❋ ❋ ❋

كأن هذا هين!

التعرف على شاب غريب الأطوار لا يثق بك لحظة ومحاولة معرفة سره.. لم أتمكن - بالطبع - سوى من تبين أن الفتى ليس مصريًا.. وليس معتوهًا.. بل هو يخفي سرًا لا يعلمه إلا الله..

وحين أوشكت على الاستسلام، كان الفتى قد قرر أن يثق بي..

لماذا؟..

لأنه وجد ضفيرة وثيابًا مما دله يقينًا على أن خصمه (جينغ - تشا) قد لحق به في هذا الزمن وهذا المكان، وبالتالي صار العثور عليه مسألة ساعات أو أيام..

لاذ الفتى بي.. وبعربية متعثرة لم تمارس قط اعترف لي بقصته وطلب مني أن أعاونه في العثور على (جينغ - تشا)، الذي هو - حتمًا - متنكر في مكان ما وينتظر..

ولقد استعنت بصديقي مأمور المركز، لكن النتيجة كانت سلبية.. لم أجد أثرًا لخصمه المشاغب في القرية.. أن (هن - تشو - كان) لفي مأزق حقًا..

وكانت الفكرة التي خطرت لي هي أن أرسله إلى داري بالقاهرة، حيث يذوب في الزحام فلا يجده أحد..

وتم تنفيذ الفكرة فورًا..

* * *

وفي شقتي بدأت أجد لونًا من التسلية في صحبة هذا الفتى ببراءته وسذاجته ومثاليته وشجاعته.. وشاهدت معه أغرب التدريبات التي كان يمارسها على سطح البناية التي أعيش فيها..

صحيح أنه كان مولعًا باصطياد الفئران من حين لآخر.. وصحيح أنه كاد يقتل لصًا قابلناه في الحافلة (لأنه سيئ) على حد قول (هن - تشو - كان)..

لكن - المحصلة - كانت أن الحياة معه مسلية إلى أقصى حد، وقد أذاب جدار الوحدة الذي حاصرني إلى حد مروع..
لهذا - وهذه طبيعة الأشياء - كان لابد أن تحدث مصيبة..

❋ ❋ ❋

المصيبة كانت هي زوج أختي الذي اتصل بي من (كفر بدر) يقول لي إن هناك شابًا يشبه (هن - تشو - كان) كان يفتش عن توأمه المفقود بين القرى.. وأن هذا الشاب كان يشعر بشوق شديد نحو أخيه.. وبالتالي دله زوج أختي على عنواني في القاهرة شاعرًا بالسعادة لهذا العمل الخير الذي وفقه الله إليه!..

وقبل أن أتخذ قرارًا كان قد وصل لشقتي..

(جينغ - تشا) شخصيًا، اقتحم الشقة وضربني علقة ساخنة دون مبرر حقيقي.. ثم طفق ينتظر عودة الكاهن الأخير من الخارج..

وعاد الكاهن الأخير..

وبدأت المعركة المروعة بين العدوين اللدودين، لا ننس هنا أن (جينغ - تشا) كان على علم لا بأس به بأساليب الـ (سارايانا).. بالإضافة إلى شراسته.. وهكذا نرى أن الخصمين متساويان تقريبًا للأسف..

وكان علي أن أفر بعيدًا...

أفر إلى شقة جاري (زكريا) بالطابق الأسفل لنغلق الباب على أنفسنا ونصغي إلى صوت الشجار بالطابق العلوي..

وهنا أدركنا حقيقة مروعة..

لم يكن (جينغ - تشا) وحده.. بل معه حشد من رجال (الماهايانا) الذين حاصروا البناية وقطعوا خطوط الهاتف..

إنهم استخدمونا كوسيلة للضغط على المحارب الشجاع.. فإما الكتاب وإما حياتنا نحن السكان الأبرياء معدومو الحيلة..

يا له من مأزق!..

إن الكاهن الأخير يعرف كيف يدافع عن نفسه.. لكن مهمته تصير معقدة جدًا حين تطالبه بالدفاع عنا كذلك..

وبرغم أنني أمقت أغلب جيراني إلا أنني لا أحب موتهم إلى هذا الحد..
وحتى إذا تمنيته فليكن ذلك بعيدًا عني...
وهكذا.. تبدأ قصتنا الحالية..

❋ ❋ ❋

"عندما تغرب الشمس
وتلطخ دماؤها ثوب
المساء الأزرق.. عندئذ
يبدأ فجر (النافاراي).."

العاشرة والنصف - ***مساء اليوم الخامس من مايو..***

لكنهم نسوا النوافذ**!**

تذكرت هذه الحقيقة في ذات اللحظة التي تذكرتها ابنة الأستاذ (زكريا) الكبرى.. رأيتها تخرج من الغرفة وشعرها مغطى بشبكة تحتها عشرات من تلك (البوبينات) التي تلف النسوة شعورهن عليها مما يعطي مظهرهن طابعًا فضائيًا (وكأنها قصة خيال علمي)..

رأيتها تهرع للخارج.. إلى الصالة صائحة في أبيها:

- النوافذ يا أبي..**!**.. فلنستغث من النوافذ..

صحت في حماس وقد راقت لي الفكرة:
- هذا مناسب تمامًا.. لنطلب من أحد المارة أن يحضر الشرطة..
وعالجت مزلاج النافذة ففتحته.. ثم وقفت أرمق الشارع في شرود على ضوء أعمدة النور المتناثرة..
لم يكن هناك أحد.. ولا واحد في الشارع الراقي الضيق الذي يمتاز بالهدوء طوال العام.. فقط سيارتان واقفتان إلى جوار سيارتي..
وثمة قط مذعور يفر بعيدًا.. ثم لا شيء..
ابتلعت ريقي.. ثم فتحت فمي عن آخره:
- النجداااااااه!.. الغاااوث!
بدا لي صوتي مبتذلًا وغريبًا خاصة وأنني لم أعتد على الصياح في حياتي..

وكأن الفتاة وجدت هذا غير كاف؛ قربت رأسها جوار كتفي وصاحت بصوت رفيع رائع كفيل بإيقاظ الموتى:

- النجداااااااه!

لكن كل هذا الصراخ ذهب بلا جدوى..

ظل الشارع ساكنًا بليدًا كما كان وكما سيكون فيما يبدو..

إن شيئًا في كل هذا ليس على ما يرام..

❋ ❋ ❋

عدت - بكتفين منحنيتين - إلى داخل الصالة.. أواجه النظرات الحيرى للأستاذ (زكريا) وزوجته وبناته..

- والعمل؟

- لا عمل.. ننتظر هنا حتى تنتهي المشاجرة..
- والرجل الواقف بالباب؟
- إنه لم يحاول الدخول ولا تهديدنا.. كل ما يريده هو أن نظل حيث نحن وحتى تنتهي تسوية الحساب..

وجلست على مقعد مريح، ولم تكن معي سجائري.. لحسن الحظ أن الأستاذ (زكريا) يدخن.. وبنظرة متسائلة أشرت إلى علبة سجائر موضوعة على المنضدة.. فأشار لي أن لا مانع..

وأعدت لنا الزوجة بعض أكواب الشاي وبعض شطائر الجبن، وعادت لتجلس معنا متسائلة في توتر (كانت على شفير الانهيار العصبي):

- ماذا يحدث بالضبط؟.. من هؤلاء؟
- إن شرح هذا يطول يا سيدتي.. لكن لنقل إن زميلي في الشقة يمثل الخير واللون الأبيض.. أما هؤلاء الأوغاد فهم اللون الأسود بلا ظلال!

وهنا دوى صوت صرخة عنيفة من الطابق العلوي.. ثم صوت صرخة مضادة وأشياء تتقلب كأن فيلًا يتعلم وثب الحبل هنالك..

- يجب أن نمد له يد العون.. ذلك البائس!

جرعت جرعة كبيرة من كوب الشاي واضطجعت مسترخيًا على المقعد:

- إن قتال هذين لشبيه بقتال الديناصورات التي ترينها في الأفلام الخيالية، ولن يلعب (المخلص) بينهما أكثر من دور الذبابة..

أي أن كل ما سيفعله هو أن يسحق أو يمزق.. صدقيني.. من الأفضل عدم التدخل..

المزيد من الصراخ والركلات و.. تشاه سارايانا.. كيو سارايانا.. إذن هناك آخرون قد دخلوا الخط..

وهنا حدث ما كنت أخشاه..

لم أفهم - في البدء - معنى هذا.. فقط خيل لي أن دبابة تهشم باب الشقة، ثم رأيت قدمًا حافية متصلبة الأوتار والعضلات تشق خشب الباب دون رحمة تصاحبها ضربات من يد مشابهة..

وبعد ثانية كان رجل صيني شرس الشكل يحمل خنجرًا كئيب المظهر..

كان هذا الرجل قد دخل إلى الشقة وبوثبة واحدة كان عندي.. و.....

يؤسفني أن أذكر أنه جرني من قفاي جرًا إلى الباب.. وأنا أمسك بكوب الشاي مرددًا:

- لحظة أيها الحيوان!.. الشاي سينسكب علي!

لكنه - بالطبع - لم يعر كلامي انتباهًا..

وشعرت بنفسي أحمل حملًا إلى مدخل الشقة.. الإضاءة الخافتة على السلم والظلام الشرير القابع على الأطراف ينتظر..

وحين رفعت عيني لأعلى رأيته..

واقفًا عند أعلى درجات السلم متحفزًا كالنمر.. غاضبًا كالثور.. متوترًا

كالثعبان.. كان (هن - تشو - كان)..
وعلى درجات السلم تناثرت ثلاثة أجساد مهشمة لا تبدي حراكًا.. واضح طبعًا أنهم من رجال (الماهايانا) الذين نالوا عقابًا لن ينسوه..
وكان الفتى يردد في هستيريا حانقة:
- سوان هاتشاه سارايانا!
يا لك من معتوه!.. ليس هذا هو وقت البروتوكول.. اضرب ثم تكلم.. إن هذه المثاليات والتشبث بالتقاليد ستقودك حتمًا إلى كارثة..
ثمة جسد رابع يتلوى وهو يئن على بعد أمتار من مكاني.. واضح طبعًا أن هذا هو جسد (جينغ - تشا) الذي كوفئ على حماسه بسقوطه من فوق درجات السلم مهشم

العظام.. لقد كانت الغلبة للكاهن الأخير إذن..
وشعرت بجسد الوغد الذي يقيد حركتي يتصلب..
ثم شعرت بنصل الخنجر يتحسس شيئًا ما في عنقي.. ذات الوريد البائس الذي داعبه الزومبي وسفاح الإسكندرية يومًا ما
فما إن رأى (هن - تشو - كان) المشهد حتى صرخ في جزع..
- (ريفات)!
وهنا سمع صوت خطوات من أعلى فرفع بصره - وكذا فعلت أنا - ليجد (عزت) جاري المثال البائس، بقامته الناحلة ولونه الأسمر العجيب.. كان يرتدي منامة زرقاء وحافي القدمين مما دلني على أنه كان

غافيًا حين فوجئ بالكارثة التي هبطت عليه، في صورة صيني آخر مفتول العضلات يلوح بخنجر مبهج الشكل ويهدده باستعماله..



وشعرت بجسد الوغد الذى يقيد حركتى يتصلب ..
ثم شعرت بنصل الخنجر يتحسس شيئًا ما فى عنقى ..

ومن الطابق الأسفل لمحت صينيًا آخر يمسك باللواء (محمد حليم) المتقاعد.. وكان يرتدي فانلة داخلية وبنطال بيجامة ويصدر عبارات التهديد لهؤلاء الأوغاد.. الأمر الذي بدا لي مضحكًا..

لقد صار الموقف واضحًا..

ولمحت - بطرف عيني - جهازًا معقدًا من التروس والسلاسل والنصال موضوعًا على السلم، أنا لا أدري ما هو، لكنه - حتمًا - جهاز تعذيب عبقري قادم من عالم محاكم التفتيش.. وبالتأكيد سيبدعون في تجربة هذه التحفة علينا أمام عيني (هن - تشو - كان)..

حمدًا لله أن هؤلاء الأوغاد اكتفوا بتهديد الرجال، فلو بدءوا بتهديد بنات الأستاذ

(زكريا) أو المهندس (سليم) لكان الموقف محطمًا للأعصاب إلى حد لا يوصف، ولاضطررنا - واضطر (هن - تشو - كان) - إلى التهور مهما كانت النتائج..

ثم إن هناك متعة لا تنكر في أن أرى الأستاذ (زكريا) يعذب حتى ولو كنت أنا التالي في الدور له!

بتؤدة ينهض (جينغ - تشا) من رقدته.. بثقة يجلس.. بسماجة يتكلم.. موجهًا كلامه إلى (هن - تشو - كان).. والكلام بلغة (النافاراي) التي لا يفهمها سواهم (وأشك أنهم يفهمونها في الواقع)..

نظرة بلهاء مذهولة في عيني (عزت).. المسكين.. لابد أنه يحسب كل هذا كابوسًا..

لقد صحا من النوم ليجد نفسه وسط كل هذا..
أما المهندس (سليم) فأخذ يتساءل في حيرة:
- بسم الله الرحمن الرحيم!.. أية لغة شياطين هذه؟
- ششششش! إنها لغة (النافاراي)!
لا أحتاج لأن أكون عبقريًا كي أفهم ما يقال..
لقد صار هؤلاء الأبرياء في قبضتنا أيها (الزهرة الزرقاء)، وحياتهم رهن بإشارة منك.. فإذا سلمتنا كتاب الـ (شوكارا) فقد كفى الله المؤمنين القتال، وإذا رفضت فسترى أسوأ مجزرة لم تزر كوابيسك بعد..

وللمرة الأولى أرى إمارات الغباء والحيرة على وجه (هن - تشو - كان)..
كان عاجزًا عن اتخاذ القرار الصائب..
عاجزًا عن إنقاذنا جميعًا في نفس الوقت، فمهما أجاد وأسرع فحتما سيفلت منه وغد أو وغدان يطيحان برأس أو رأسين..
كان عاجزًا عن تسليمهم الكتاب - تراث أجداده المقدس - وحتى لو فعل فمن يضمن له النتائج؟!..
أما عني أنا فالاختيار بسيط جدًا..
أنا أرفض أن أموت في سبيل كتاب مقدس عند رهبان (التبت) في القرن الخامس عشر!.. هذا هو رأيي وأرفض أن أرى الموضوع على أي ضوء آخر..
نعم هو رأيي.. ولكن من يصغي؟

*   *   *

الحادية عشرة والربع - *مساء اليوم الخامس من مايو..*

أطلق (عزت) أنة.. ثم تهاوى على الأرض..

يا للكارثة!..

كنت أعرف أن هذا سيحدث.. وها هو ذا ذلك الأحمق يصاب بهبوط حاد ناجم عن فرط الانفعال، وأرجو ألا ينسى القارئ أنه - (عزت) لا القارئ طبعًا - مصاب بفشل الغدة فوق الكلوية، ويعيش على (الكورتيزون)..

سيكون صعبًا أن أشرح تاريخ حالته الطبية بالإشارات لهؤلاء المتعصبين..

لكن الحقيقة.. الحقيقة التي لم تفارقني هي أن الفتى في وضع خطر، وستزداد حالته سوءًا لو لم ينل حقنة كورتيزون حالًا..

* * *

دارت محادثة طويلة مملة بين (هن - تشو - كان) و (جينغ - تشا)..
ونظرًا لأنني لا أريد أن يفارقني القارئ فإنني سأعفيه من ذكر استنتاجاتي بشأنها.. فلا بد أنها نوع من صياح الديكة المتحفزة قبل القتال..
وفجأة رأيت (هن - تشو - كان) يمد يده إلى أزرار قميصه.. يفتحها.. وينزع القميص كاشفًا عن جسده العضلي المتوتر..

وحول خاصرته رأيت كيسًا من (النايلون) مربوطًا بحزام قماشي..

إذن كان هذا هو موضع الكتاب طيلة الوقت.. فهو لم يثق في أي مكان يخفيه فيه.. وهو ذا قد استسلم أخيرًا..

ورأيت الفتى يفك الحزام ويلوح به وبالشيء الموضوع في الكيس...

لكن (جينغ - تشا) ردد كلمة ما في عناد..

واضح - طبعًا - أن الفتى يطالبهم بإطلاق سراحنا.. أما (جينغ - تشا) فمصر على موقفه.. الكتاب أولًا ثم نرى كيف نتصرف..

كلاهما مصمم على رأيه.. وقد بدأ الملل يعتصرني..

مرت اللحظات ثقيلة..

ثم.. هو ذا (هن - تشو - كان) يطوح بالكيس في الهواء..

وتشتت انتباه العصابة ليروا أين سيسقط الكتاب.. وكانت هذه هي اللحظة التي انتظرها الكاهن الأخير طويلًا..

أما ما حدث بعد ذلك فلا يصدق..

أنتم تذكرون تدريبات الفتى المتواصلة مع الفئران ولم تصدقوا حرفًا...

الآن تصدقون!

❋ ❋ ❋

حين تمتزج بالكون وتتعلم أسراره..

حين تتعلم منه سرعة البرق.. وقوة الفيضان.. ومضي الشهب..

حين تتشرب منه رقصة الإلكترونات المحمومة حول نواتها، وصبر المذنبات التي لا تتساءل عن مغزى رحلتها السرمدية.. وحين تفهم منه معنى الأبدية.. وأحلام النجوم..

عندئذ يمكنك أن تكون هذا الرجل..

* * *

كانت الوثبة طويلة من أعلى درجات السلم..

ولمحت الوغد الذي يكبل حركتي وقد هوى على الأرض، ثم رأيت قدمًا تضرب (جينغ - تشا) على جذور عنقه، وكفًا تهوي بين عنق أحدهم وكتفه..

ولمحت الرجل الذي يهدد لواءنا المتقاعد وهو يتدحرج على السلم.. ثم رأيت الخنجر يطير في الهواء ليستقر في صدر وغد آخر..

ثم هوى الكتاب عند قدمي بالضبط**!**..

عندئذ - فقط - بدأت أدرك حجم المعجزة التي تمت أمامي، وأدركت أننا بحاجة إلى أسابيع طويلة قبل أن نفهم ما فعله الكاهن الأخير..

على السلم كانت هناك ثلاثة أجساد مهشمة فازداد العدد قليلًا..

انحنيت على الكتاب لألتقطه لكني سمعت (شخطة) من (هن - تشو - كان) كي أتركه حيث هو.. واضح أنه لا يريد تدنيس الكتاب بأيدي غرباء..

ثم إنه وقف على قدميه.. العرق يغرق ثيابه وينساب - كالشلال - من فوق شعر حاجبيه.. بصوت لاهث يهتف:

- سوان هاتشاه سارايانا!

ثم ينحني جوار (جينغ - تشا) الممدد بلا حراك على الأرض.. فيربت على جبينه مرددًا بلا كلل:

- (جينغ - تشا).. سوان هاتشاه سارايانا!

هو ليس فخورًا بما فعل..

وها هو ذا يعتذر لـ (جينغ - تشا) لأنهم أرغموه على ذلك، وأنهم اضطروه لاستعمال أسلوب (سارايانا) الذي - كما هو واضح - يعتبره قذرًا..

لقد انتهت المأساة بمذبحة..

لكن - على الأقل - ليست دماؤنا هي التي تلطخ درجات السلم، وكنا أقرب ما يكون لذلك..

ينهض الكاهن الأخير.. يمشي بتؤدة ليأخذ الكتاب حيث سقط عند قدمي، و..

- احترس يا (هن - تشو -.....)!

ولم أكمل تحذيري..

إذ رفع (جينغ - تشا) رأسه بمجرد أن أدار (هن - تشو - كان) ظهره له - أن هذا المتعصب لا يهلك أبدًا! - ورأيته يمسك بأداة هي عبارة عن كرة دوارة تبرز منها الأشواك، كتلك التي يظهر محاربو (النينجا) وهم يقاتلون بها دائمًا في أفلام (هونج - كونج) الرديئة.. وبآخر ما تبقى

لديه من قوة.. ببقايا الروح التي تفارق جسده سريعًا..
قذف الكرة التي دارت في الهواء بسرعة جنونية.. ثم استقرت في مؤخرة عنق (هن - تشو - كان).. تقلص وجه الفتى وارتسمت عليه أعتى أمارات الألـ.....
اللعنة!..
إنه يتهاوى كالبالون المثقوب..
تنثني ركبتاه.. يرتخي ذراعاه..
ثم يغمغم شيئًا ما..
وينكفئ على وجهه بلا حراك!

❋ ❋ ❋

الحادية عشرة والنصف - ***مساء اليوم الخامس من مايو..***

سقط (هن - تشو - كان) عند قدمي فوق كتابه..

أطلقت صرخة رعب.. وانحنيت لأريح رأسه على ركبتي.. ثم مددت يدي بحذر وانتزعت الكرة الدوارة من مؤخر عنقه..

كانت لينة. وهذا غريب. خفيفة الوزن - وهذا أغرب - تشع منها إبر صغيرة مجوفة..

وهنا فهمت..

إن الضرر الذي تحدثه هذه الكرة ليس ناجمًا عن قوة ارتطامها، والأذى الذي

تسببه للتركيبات الحيوية.. بل هو ناجم عن قيامها بحقن سم ما... هأنذا أعتصر الكرة بحذر فينز سائل أخضر اللون من أطراف الإبر..

وهذا السائل هو ما يجري الآن في عروق الكاهن الأخير..

وكانت الكرة مزودة بطرف عار من الإبر ليسمح لمن يقذفها ألا يدمي أصابعه هو نفسه..

ولكن ما كنه هذا السم؟..

أنا لا أعرف سموم هؤلاء القوم لكني أستطيع تخيلها.. سم من أسنان ثعبان الصخور الأرقط.. أو من أنياب التنين المطحونة.. أو من عصير الوطاويط.. أو

أي شيء من هذا الهراء الذي لن أعرفه أبدًا..

فتحت عيني (هن - تشو - كان) فوجدت الحدقتين ضيقتين دبوسيتين..

وكان يتنفس بصعوبة واللون الأزرق يزحف على شفتيه..

إذن سنقتدي بالقاعدة الطبية القديمة: إذا كان السم مما يضيق حدقتي العينين، فالترياق المناسب لابد أن يوسعهما!..

أرحت رأسه على الأرض وهرعت إلى شقتي وسط التساؤلات..

ومتناسيًا الفوضى في كل مكان - كأن إعصارًا مر بالشقة - جريت إلى الصيدلية الصغيرة في الحمام، فكسرت ستة أمبولات من (الأتروبين).. وعبأت محقنًا بها..

قد يكون السم مشتقًا من مادة الفوسفور العضوي.. وقد يكون من قلويدات الأفيون... وقد يكون من مشتقات (الارجوت).. وقد يكون مادة ما لم أسمع عنها ولا يعرفها أحد..

كل شيء جائز..

لكني لن أنتظر حتى يموت (هن - تشو - كان) بينما أرمقه في حزن..

يجب أن أفعل شيئًا حتى ولو كان هذا الشيء هو التعجيل بموته!

* * *

ونزلت درجات السلم لألحق بالفتى حين حدث شيء غريب..

لم تكن هناك جثث.. لم يكن هناك صينيون... اختفوا.. تبخروا.. ذابوا في اللانهاية... فقط كان جسد (هن - تشو – كان) هناك وقد أراح رأسه على ركبة الأستاذ (زكريا).. ولمحت الذهول في عيون القوم.. فأين ذهب المعتدون إذن؟

لكنني استطعت أن أفهم.... لقد عادوا إلى عالمهم بمجرد أن قضوا نحبهم..

كأن (الشانكين) يايّ يجذب هؤلاء القوم باستمرار نحو زمنهم وأرضهم..

وحين ماتوا فقدوا ارتباطهم بهذه الأرض وعادوا محلقين إلى عالمهم..

كل هذا غريب..

لكنه يعني أن (هنٍ - تشو - كان) مازال حيًا، ومازال مربوطًا بهذه الأرض وهؤلاء

الناس وهذا الزمن..

❋ ❋ ❋



فقد كان جسد (هن ـ تشو ـ كان) هناك وقد أراح رأسه على ركبة الأستاذ (زكريا) ..

أفرغت المحقن في عروقه النافرة وانتظرت في أمل..
والآن.. ها هي ذي علامات (الأتروبين) تظهر عليه.. وجهه يتقد كجمرة ملتهبة.. حدقتاه تتسعان.. لسانه يجف كقطعة من القش.. قشور بيضاء تحتشد على شفتيه.. نبضه يتسارع..
المفروض أن ينهض..
لكن هذا لم يحدث..
إن الأمر أعقد مما تصورت، ولم يعد ثمة ما أفعله سوى نقله إلى المستشفى الجامعي - حيث أعمل - لمعرفة ما يمكن عمله..

* * *

وتعاونت مع (عزت) - الذي استعاد قواه نوعًا - لنحمل الفتى إلى سيارتي، ثم أنهب بها الشوارع نهبًا قاصدًا المستشفى..

وهناك تعاون طبيبان شابان من أطباء التخدير على إيلاج أنبوب القصبة الهوائية في حنجرته، ثم وصلاها بجهاز التنفس الصناعي، وتم إجراء بعض التحاليل الدموية، وحقن لترات لا جدوى منها من مادة الدكستروز في عروقه..

قال أحدهم مضيقًا عينيه في ذكاء:

- تبدو لي كحالة من.. من...

تساءلت ملهوفًا:

- من ماذا؟

- من تسمم (الأتروبين)!

تبًا لك!.. لقد كنت أنا من حقنه بالأتروبين منذ دقائق!.. إن مشكلتنا - وهذا جلي لي - بلا حل..
فإما أن يعود (هن - تشو - كان) إلى الحياة من تلقاء ذاته، وإما أن يموت من تلقاء ذاته، وليس لدينا سوى الانتظار ومصمصة الشفاه..
منحني الكتفين مطأطئ الرأس عدت لداري بعد كل هذه الضوضاء..
الساعة تقترب من الواحدة من صباح اليوم السادس من مايو أصعد في درجات السلم في توجس..
لقد رحل رجال الشرطة من زمن، وعاد الجيران إلى شققهم.. فلم يبق أثر سوى باب الأستاذ (زكريا) المهشم الذي ثبته

بالمسامير مؤقتًا حتى يجد من يصلحه في الصباح.. لابد أنهم قد ناموا على أمل أن يعرفوا في الصباح أنهم كانوا يحلمون..

و..... لحظة!..

نسيت شأن الكتاب تمامًا!...

صحيح أنه لا يهمني في شعرة لكنني - حتمًا - أحترمه وأحترم تضحية (هن - تشو - كان) بحياته من أجله، فلا أريد لهذا الرمز أن ينتهي في سلة المهملات أو تلف فيه أقراص (الطعمية)..

إن اهتمام الآخرين بشيء ما - فكرت - يضفي أهمية حقيقية على هذا الشيء، ولهذا يتلخص كبرياء الوطن في قطعة قماش هي العلم.. ويتلخص حبك لزوجتك في حلقة قد

تكون من الذهب وقد تكون من الفضة هي الدبلة..
ويتلخص كل كيان الفتى وذكرياته في هذا الكتاب الأبله (الشوكارا)..
لهذا - ومهما كنت قاسيًا - لا أجرؤ على إهمال هذا الكيان..
قرعت الجرس الوحيد الذي جرؤت على قرعه في هذه الساعة.. جرس جاري (عزت) الذي يحيا كذئب وحيد..
انفتح الباب وظهر لي بوجهه الأسمر النحيل الكالح متسائلًا عما هنالك، فما إن رآني حتى اشرق وجهه ودعاني للدخول هاتفًا:
- ألن تفهمني كنه هذا الذي حدث؟

- نعم.. فيما بعد لكن ليس الآن.. والآن هلا أخبرتني بما حدث لذلك الكتاب الملفوف في كيس، والذي أخرجه الفتى من تحت ثيابه ليقدمه للمعتدين؟

صاح في حيرة وهو يحك ما تحت إبطه:

- كيف لم تر ما حدث؟.. آه!.. لقد جريت إلى شقتك لتحضر المحقن.. حسن.. لقد زحف أحد الرجال - أكثرهم عدوانية - نحو موضع الكتاب، و...

- تعني أن (جينغ - تشا) لم يكن قد مات بعد؟

- كان يلفظ آخر أنفاسه إلا أنه التقط الكتاب واحتضنه.. ولم يجرؤ أحدنا على منعه بالطبع..، ثم...

- ثم ماذا؟

- ثم أخرج قنينة صغيرة جدًا- بحجم الإصبع - وجرع ما فيها.. وسقط منكفئًا على وجهه.. بعدها ذاب.. تلاشى تمامًا هو ومن معه من رجال،.. (رفعت)!.. أنا أسمع كثيرًا عن الهلوسة الجماعية، فهل ما مررنا به نوع منها؟.. وما هو سبب كل هذا؟

ثم أشرق وجهه بنشوة الفن وهتف:

- آه لو رأيت منظره وهو يزحف فوق درجات السلم... الأسد الجريح!.. يا لنبله ويا لرشاقته!.. إنني عاكف الآن على رسم (اسكتشات) أولية لهذا المشهد بغرض صنع تمثال جديد..

هل تحب أن تراها؟!

....

* * *

الحادية والأربعين - *ظهر اليوم الخمسين من (هسبراد)..*

كان هناك...

إنه لم يفقد ذاتيته بعد.. وهو يعرف نفسه كأفضل ما يكون..

أما كيف وصل هناك فموضوع آخر..

تذكر فقط أنك قد أرديت خصومك جميعًا، فتساقطوا كالفراش حول النيران.. لقد انتصرت (السارايانا) على جنود الظلام..

وتذكر أنك انحنيت جوار (رفعت) لتأخذ كتاب الـ (شوكارا)..

ثم.. الألم الحارق في مؤخرة عنقك.. بغتة..
القوة تتسرب من رقبتك كما يتسرب البخار من (السماور)..
عندئذ - وعندئذ فقط - أدركت أنهم قد نالوا منك..
والآن أنت هنا يا (هن - تشو - كان).. أنت هنا..

* * *

لم يكن هناك أفق..
ولم تكن هناك شمس..
فقط الظلام العتيد.. الظلام البكر الأولي يمتد إلى ما لا نهاية.. وثمة خطان

متوهجان باللون الأزرق المشع يمتدان - هما أيضًا - إلى ما لا نهاية.. فوق رأسه..
ونظر (هن - تشو - كان) إلى قدميه..
غبار أحمر متوهج يتطاير هنا وهناك محدثًا - تحت قدميه - صوتًا غريبًا غير مستحب، كالصوت الذي تحدثه أسنانك في ثمرة كمثرى غير ناضجة..
لقد نالوا منك...
إذن أنت قد مُت يا (هن - تشو - كان).. وهذا هو العالم الآخر.. أرض الأجداد التي سمعت عنها مرارًا..
أنت مذعور.. ولكن في هذا دليلًا على أنك لم تلحق بالأجداد بعد..
الأشباح لا ينتابها الذعر بعد ما ظفرت بالأبدية.. الذعر سمة الفانين..

وأنت لا تصدق أن كل هذا ممكن..
إذن.. أنت حيّ.. لكنك منفي هاهنا..

* * *

وهنا يتصاعد الغبار الأحمر في الأفق..
وبعين مذعورة ترى شيئًا يقترب.. ثلاثة أشياء في الواقع..
لبرهة ظننت أنك ترى ثلاثة فرسان. على خيولهم يقتربون منك.. ثم بعد ثوان أدركت أن الأمر ليس كذلك..
فرسانًا نعم.. يركبون خيولًا نعم..
لكنهم كانوا بلا وجوه.. مجرد أجساد تمتطى أشياء أقرب إلى الزواحف واللهيب يتصاعد من مناخرها أزرق مضيء..

وكان كل (شيء) من هذه الأشياء الراكبة يلوح بلسان من النار.. لسان طويل أخضر اللون تتناثر منه الشعلات في كل صوب..

كانوا يريدونك..

وهذا حسبك....

أطلق الأول صوتًا عجيبًا - كأنه قشرة بيضة تتهشم - ودنا منك ملوحًا باللسان الأخضر.. ضخمًا.. رهيبًا.. مهيبًا..

لكنك - حتى في هذا العالم - لم تنس أساليب التفادي..

تمرغت في الغبار الأحمر فتناثر في كل مكان..

لقد أدركت - بالفطرة - أن هذا اللسان الأخضر نوع من السلاح.. شيء يقذف

عليك من شخص لا يبدو ودودًا هو بالقطع سلاح لا تعرفه..
وسمعت هذه السحلية تطلق فحيحًا، ثم تمر جوارك نحو مكان ما..
وعندئذ جاء الفارس الثاني..
المزيد من قشور البيض تتهشم، واللسان الأخضر يثب نحوك..
وثبت في الهواء لتتحاشاه ثم هبطت على قدميك على حين اندفع نحوك الفارس الثالث.. فمرت نيرانه فوق رأسك..
من هؤلاء؟.. من أين جاءوا؟.. أين أنت؟..
لا وقت للإجابة..
هأنتذا واقف تلهث في حين يقف الثلاثة صفًا أمامك يتحرشون بك استعدادًا

لمواصلة الهجوم.. والسحالي التي يمتطونها تنفث النار وتبعثر الغبار الأحمر بأقدامها الحانقة..

حتى هنا لم ينس الفتى آداب (النافاراي)..

- تشا سارايانا!

صرخ وهو يثبت قدميه على الأرض ويفتحهما:

- جيانغ سارايانا!

قالها وهو يفتح ذراعيه عن آخرهما:

- كيو سارايانا!

هتف بها وهو يرجع رأسه إلى الخلف كسهم في قوس.. ثم..

ثم ترك الزناد.. فاندفع في الهواء نحو الفارس الأوسط..

وبساق غاضبة وجه له ركلة عنيفة في صدره..
لكن الساق لم ترتطم بشيء.. بل مرت عبر الصدر، ليجد الفتى نفسه ساقطًا على الأرض وسط الغبار الأحمر البراق..
لم يكن لهؤلاء وجود مادي إذن.. بل هم أطياف.. رؤى.. نوع من السراب الذي كان يراه في طفولته عبر صحاري الجليد..
وكأنما كانت هذه هي الإشارة..
اندفع الفرسان الثلاثة نحوه صارخين.. لكن صراخهم لم يزد على نوع من تهشيم قشور البيض كما أسلفنا الذكر.. صارخين من أفواه لا وجود لها..
إنهم يلوحون بنيرانهم.. من المؤكد أنها لا تؤذي..

لكنه لن يجازف..

تمرغ أرضًا ثم وثب ثم تمرغ أرضًا ليمر ما بين القدمين المخلبيتين لواحدة من تلك الزواحف التي تشبه الخيل..

وحانت منك نظرة إلى السماء فرأيت أن الخطوط قد ازدادت خطين..

خطين لونهما أزرق متألق يبدآن من اللانهاية وينتهيان في اللانهاية...

ما معنى هذا؟.. ما هو هذا المكان؟..

❋ ❋ ❋



وبساق غاضبة وجه له ركلة عنيفة فى صدره ..
لكن الساق لم ترتطم بشىء ..

أنت في (زانادو).. حيث تحيا الظلال على دماء الموتى.. وحيث يمزج الرعب خمر الفناء لمن ضلوا السبيل.. أنت في (زانادو) أرض الكوابيس فاخضع للخان العظيم..

* * *

من قال هذا؟

لا يدري.. لكنه سمع الصوت كأوضح ما يكون في دهاليز عقله.. وبرغم إنهاكه كان قادرًا على التفكير المتعقل..

إنه لم يتوهم ذلك كله.. بل هو حقًا هنا يواجه هذه المسوخ ويصغي لهذا الصوت الذي يدعوه للخضوع.. صوت لا يتحدث بلغة معروفة لكنه مفهوم..

ولكن ما هي (زانادو) هذه؟[1]

❋ ❋ ❋

أنت في (زانادو).. حيث يصير للمخاوف كيان ملموس، وحيث تخطو الأشباح في دهاليز الأبدية.. أنت في (زانادو) حيث الظلام السرمدي..

وحيث تعزف النجوم لحن العدم.. فاخضع للخان العظيم..

❋ ❋ ❋

مرة أخرى يسمع الصوت..

وحتى إذا ما خضع لهذا الخان العظيم، فكيف يفعلها؟..

كيف يمكن إخبار هذه المسوخ - معدومة الرأس - أنك تستسلم؟

إنهم يقفون أمامه صامتين.. على حين تصدر الزواحف خوارًا مستمرًا وتتحرك في قلق كأنها تريد مواصلة الهجوم..

لكن الفرسان ينتظرون..

من هو الخان العظيم؟.. هل هو رئيسهم؟

* * *

أنت في (زانادو) أيها المحارب.. حيث ينزع الغموض رداءه.. وتفتح الطلاسم أقفالها.. وتستحم عذارى الليل عرايا في دماء من ضلوا سبيلهم وجاءوا هاهنا.. أنت في (زانادو) أرض الشؤم.. فاخضع للخان العظيم،..

* * *

خضعت!.. خضعت!..

فلينته كل هذا!..

أنا لم آت محاربًا ولا أدري أين أنا..

لو كنت - حقًت - خانًا عظيمًا، فالمفروض أن تعرف أنني لا أرغب سوى في المعرفة والفهم..

لو كنت خانًا عظيمًا لجعلت مسوخك ينصرفون..

لو كنت.....

وهنا حدث شيء مريع...

* * *

الواحدة والنصف - ***صباح اليوم السادس من مايو..***

ولكنني - برغم كل شيء - جائع!..

تذكرون أنني لم أتناول عشائي بعد، وكنت أنتظر (هن - تشو - كان) حين يعود من السوق.. إذ جاء هذا الإعصار (جينغ - تشا) ليقلب الأمور رأسًا على عقب..

لهذا وضعت المقلاة على الموقد وأذبت بها ملعقة سمن، وكسرت بيضتين..

ثم جلست ألتهم عشائي من المقلاة مباشرة، على أن أعود إلى المستشفى على الفور بمجرد أن تخرس كلابي (كما يقول الإنجليز)..

أنا لست بارد الأعصاب كما تظنون، ولست قاسيًا.. أنا - فقط - جائع ولن أؤذي أحدًا بشبعي كما لن أفيده بجوعي..

ثم إنني أشعلت لفافة تبغ وطفقت أتأمل الحلقات الرمادية المتصاعدة..

إذن حصل (جينغ - تشا) على الكتاب.. وحمله معه إلى.....

إلى أين؟..

هل عاد به للقرن الخامس عشر؟.. ولكن كيف يستفيد به هناك.. أكاد أقسم إنه لفظ أنفاسه أو كاد إثر ضربات الكاهن الأخير الفعالة على مواضع هذه الـ (كارما) أو الـ (صارما) لا أذكر اسمها......

تبًا لك يا (هن - تشو - كان)!..

كيف تسمح لنفسك بالإصابة بالغيبوبة في لحظات هامة كهذه؟.. أنت الوحيد الذي كان يملك تفسير ما حدث..

وهنا دق جرس الهاتف في إلحاح..

نهضت لأرد متوقعًا أن أسمع الخبر إياه.. فسمعت صوتًا ملهوفًا:

- د. (رفعت)؟.. أنا (منير)..

- اختصر يا صديقي.. أختصر..

- المريض الذي أحضرته لنا..

ابتلعت ريقي وتحسست صدري ضاغطًا قلبي في موضعه حتى لا يسقط إلى قدمي.. وتساءلت:

- هل هو.....؟

- كلا.. ولكن.. أشياء غريبة جدًا تحدث.. هلا جئت لنا الآن؟

وضعت سماعة الهاتف وأنا ألعن في سري..
ستكون ليلة أسود من قلب كفار (قريش) جميعًا..

* * *

على الشاشة الخاصة بجهاز (المونيتور) أخذت النبضات الكهربية تتواثب كالبراغيث الخضراء، في حين يشير مؤشر النبض إلى مائتي نبضة في الدقيقة..
كان هناك عدد لا بأس به من المناظير والمعاطف البيضاء حولي..
وسألني أحدهم وهو يتثاءب:
- ما سر هذا؟
- كنت أظنكم تعرفون الإجابة..

- إن الضغط يتزايد. كذلك.. وحركة الحدقة سريعة حقًا

قال د. (منير) وهو يفتح جفني (هن - تشو - كان) متأملًا حدقتي العينين اللتين تتحركان كبندول:

- هل تريدون رأيي؟.. يخيل لي أن هذا شبيه بطور النوم المتناقض (بارادوكس) الذي تبدأ فيه الأحلام..

قلت وأنا أحك عنقي:

- هل تعني أنه يحلم في غيبوبته؟..

- بالتأكيد.. وأظنه يحلم بالكوابيس..

كنت أفكر في كل هذا شارد الذهن.. حين دنت مني إحدى مشرفات التمريض وجذبت كمي قائلة في حزم، وهي تمسك بدفتر كئيب المنظر:

- تأمين العناية المركزة ثلاثمائة جنيه!..
- فيما بعد.. فيما بعد.. نسيت أن أجلب مالًا..
ثم نظرت إلى الفريق الطبي الواقف متسائلًا:
- لماذا لا تجرون له غسيلًا كلويًا يزيل آثار هذا السم من عروقه..
- سنحاول ذلك.. لكننا لا نضمن أي نجاح..
وهنا شعرت بالمشرفة تجذب كمي مكررة في حزم:
- لا تنس الثلاثمائة جنية صباح غد وإلا طردناه!
صعد الدم إلى رأسي:

- لن أنسى عليك اللعنة.. ولكن دعيني أكمل جملة واحدة!..

ثم قلت وقد تذكرت شيئًا.. موجهًا كلامي إلى د. (منير):

- إن عندي كمية نقية من هذا السم.. ولأقوم بتحليلها باكرًا في مركز البحوث، فلربما أفادنا هذا..

سأحاول أن أختصر فلا أحكى لقائي العسير مع رجال الشرطة ووكيل النيابة الشاب المتحمس، الذين انقضوا علي من كل صوب يحاولون فهم ما كان هذا الآسيوي يفعله في شقتي.. وأين جواز سفره؟.. ولماذا لم أتصل بسفارته؟.. وما سر المشادة التي حدثت على سلالم البناية؟.. إلخ... إلخ..

أنا أحب هؤلاء الرجال لأنهم يؤدون واجبهم، لكني أجد من العسير نوعًا أن أحدثهم عن (النافاراي) و (الماهايانا).. لهذا اختصرت أكثر التفاصيل إلى أن صارت القصة مجرد قصة صديق آسيوي عرفته بالصدفة.. ودعوته إلى داري حين هاجمنا بعض الأوغاد لأسباب لا أعرفها..

وجاء اثنان من سفارة (جمهورية الصين الشعبية) ليريا الفتى ويتأكدا من أنه ليس من رعايا دولتهما.. هذا بالطبع قبل أن تبدأ وفود (ألبانيا) و (اليابان) و (ماليزيا) و (الفليبين) و (نيبال) و (منشوريا) غدًا بإذن الله..

والنتيجة هي - حتمًا - خراب بيتي بشكل أو بآخر..

إن السفر عبر الزمان والمكان جميل.. لكنه ليس مستحبًا في زمن تقيده جوازات السفر، ويكون فيه على كل إنسان أن يثبت أنه (شخص ما) وإلا فالويل له.. هو ومن أخفاه عنده!

* * *

الرابعة بعد منتصف الليل..

عدت بسيارتي إلى داري.. إنها المرة الثانية في هذه الليلة التي لا تنتهي..

أحتاج إلى ثماني ساعات في فراشي قبل أن أعود أنا أنا.. لكن هيهات! ليس هذا الترف حقًا لأمثالي..

وعند شقة الأستاذ (زكريا) تذكرت..

الكرة الشوكية.. لقد سقطت مني ها هنا حين أرحت رأس (هن - تشو) على ركبتي.. لكنها لم تعد هنالك..

أريدها.. فهي لم تزل تحوي بعض تلك المادة المشئومة، وأملي كبير في أن أحللها وأجد الترياق..

ولكن..

أين هي؟..

من أخذها؟.. ومتى؟.. ولماذا؟..

* * *

العاشرة - *صباح اليوم الرابع من (جونو)..*

بدأت الأرض تحتشد..

الغبار الأحمر يتعالى ويتعالى أمام عيني (هن - تشو - كان) الذاهلتين..

لكن الصوت كان مستمرًا:

"اخضع أيها المحارب... اخضع!"..

لم يكن قد فهم بعد.. لكنه أيقن أن هذا الغبار الأحمر كائن حيّ!..

كائن حي غاضب.. ويهاجمه!..

"اخضع أيها المحارب... اخضع!"..

حتى بالنسبة لمحارب (نافاراي) - سيد جهازه العصبي - كان هذا كثيرًا جدًا،

وشعر (هن - تشو - كان) أن وعيه يتسرب منه..

"اخضع أيها المحارب... اخضع!"..

تحفز الفتى في وقفته.. أين ذهب ثلاثة الفرسان؟.. إنهم يحيطون به من ثلاث نواح، على حين يغلق التل الأحمر الوليد الناحية الرابعة..

لقد أحكموا حصاره فلا جدوى من الحركات البهلوانية..

وهنا سمع صوتًا هائلًا يصرخ:

- الموت للخان!..

وبرز رجلان يمتطيان ما يشبه الخيول البيض.. لكن هذه الخيول لم تكن ذات أقدام.. بل هي أقرب إلى أطياف بيضاء

تحوم فوق الرمال مرفرفة بجناحين سميكين كأجنحة الوطاويط..
وراى أول الرجلين..
كان عاري الجذع يكشف عن عضلات هائلة (لكنها قرمزية اللون)، وكان رأسه يتربع على كتفيه كبيضة عملاقة بلا تجاويف ولا معالم!..
وفي يده كان لسان من الوميض - كالكهرباء - يرسل شرارًا في كل اتجاه..
وإذا الرجل يصيح صيحة واحدة، ويقذف هذا اللسان على أحد الفرسان..
عندئذ.. تصاعد الشرر الأزرق في كل صوب..
ولمح (هن - تشو - كان) الفارس يتفحم.. ينكمش.. يتضاءل في دروعه..

ثم يتحول - وما يركبه - إلى غبار فوسفوري أخضر.. إذن فهذان الرجلان - مهما كان من غرابتهما - صديقان..
ورأى (هن - تشو - كان) تل الغبار الأحمر يغوص..
ثم يزحف نحو الرجلين ليخسف الأرض من تحتهما أو يعرقل جواديهما..
لكن الخيول ارتفعت برشاقة فوق التل.. ولسعة برق قاتلة أصابت فارسًا آخر فتفحم..
حاول (هن - تشو - كان) أن يركض ليلحق بالرجلين المنقذين، لكن الفارس الثالث الباقي على قيد الحياة اعترض طريقه..
يا للهول!.. يا للضخامة!..

كابوس يركب كابوسًا وهو يطل عليه من أعلى دون رأس..

ولشدة الذعر أدرك **(**هن - تشو - كان**)** أن هذه الزخارف التي تملأ حلة الفارس لم تكن سوى مئات العيون الجاحظة المحمرة كلها ترمقه في مقت وتركيز**!**..

أما ما حسبه حزامًا مزخرفًا فلم يكن سوى فم كبير فاغر تحفه الأنياب القاطعة المشرعة.. فم يتوسط بطن هذا المسخ**!**..

ومن ذراع المسخ اندفعت أجسام أسطوانية - كأنابيب دقيقة - قاصدة وجه **(**هن - تشو - كان**)**..

عندئذ أدرك هذا في هلع ما يحدث..

لقد كان الكائن قادرًا على تحريك أوردته ليمتص بها دماء الأعداء**!**..

أي كابوس هذا؟!..
هناك حيث وقف في كون يسوده الظلام، على رمال حمراء دموية براقة، يواجه مسوخًا بلا وجه، ويدافع عنه رجلان يركبان حصانين مجنحين..
هناك أدرك أنه يهلوس.. حتمًا يهلوس..
لابد أن هناك من دس له أفيونًا أو قنّبًا هنديًا في طعامه..
لكن الوريد ثبت نفسه على ذراعه، فكان الألم مريعًا..
إن هذا الكابوس يؤلم إذن..
ولكن كيف يؤذيك شيء لا تقدر على لمسه؟.. مستحيل...
لم تطل حيرته لأن أحد الرجلين المنقذين مر بجوارهما.. فأطلق لسانًا من البرق دمر

الفارس المسوخي تمامًا..
وسقط (هن - تشو - كان) على الأرض الحمراء يرتجف..
لقد ساد الصمت.. واختفى الجبل الأحمر..
وهنا وجد ثلاثة وطاويط خضراء اللون تحوم في دوائر متصلة صاعدة لأعلى.. لأعلى وهي تصدر صريرًا مروعًا.. حتى تلاشت..
أدرك - دون جهد - أنها ترمز لأرواح الفرسان الثلاثة..
وحين عاد قلبه ينبض..
وحين استطاع أن يقف على قدميه..
وحين وجدت الحروف سبيلها إلى لسانه الجاف..

كان أول ما قاله هو:
- أين أنا؟
- أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث تترك الأوهام آثار خطاها فوق الرمال الحمراء..
- أين أنا؟
- أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث تفنى الحقائق وتحيا الأحلام..
- أين أنا؟
- أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث الرجال رجال حقًا..
كان الكلام يتردد في ذهنه دون أن يدرك مصدره.. هو نوع من (التخاطر) الذي تعلمه في (التبت) إذن.. ولهذا لم تكن ثمة صعوبات في الترجمة..

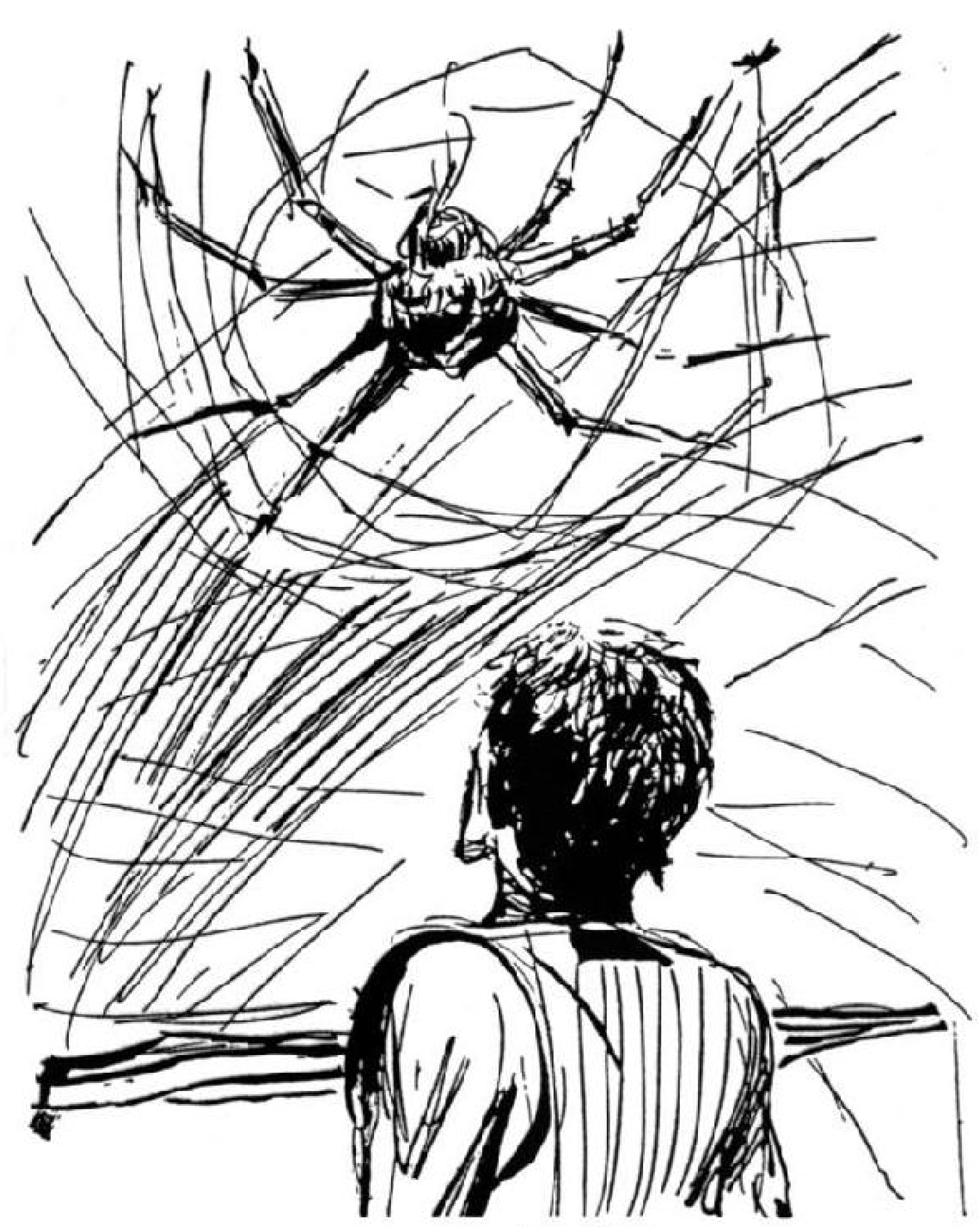
- ومن أنتم؟
- نحن رجلان من (الراموس) ألد أعداء الخان..
رفع رأسه نحو السماء فرأى الخطوط الزرقاء قد ازدادت عددًا حتى ملأت أكثرها.. أدرك - في هلع - أن لحظة ما آتية حين لا يصير في السماء موضع لخط آخر وتستحيل كلها زرقاء..
أما الأكثر رعبًا فهو مصدر الخطوط..
لقد كان هذا عنكبوتًا عملاقًا قرمزي اللون يثبت أقدامه الثمانية إلى قبة السماء عاكفًا على إفراز المزيد من الخطوط الزرقاء..
- أعنكبوتًا هائل الحجم أرى؟
- أنت تراه كذا.. ونحن نراه شيئًا آخر!
- مستحيل!.. ألا تريان نفس ما أراه؟

- أنت في (زانادو) حيث كوابيسك حقيقية.. وكوابيسك ليست كوابيسنا..

عندئذ بدأ يفهم..

إن مشهد الفرسان الثلاثة عديمي الرءوس كان كابوسًا يطارده في صباه.. بنفس التفاصيل تقريبًا..

❋ ❋ ❋



لقد كان هذا عنكبوتًا عملاقًا قرمزى اللون يثبت أقدامه الثمانية إلى
قبة السماء عاكفًا على إفراز المزيد من الخطوط الزرقاء ..

يومها نهضت من الفراش مولولًا صارخًا:
- الفرسان بلا رءوس!.. بلا رءوس!
تقلب الأخ (ميانج) في فراشه الأرضي الملاصق لك ووضع يده على جبينك وغمغم:
- لا تخف أيها (الزهرة الزرقاء).. لا تخف.. إن الشياطين لا تجد ثغرة إلى النفوس الشجاعة إلا حين يغلفها الكرى..
- لقد فتت الذعر جسارتي!..
- في الغد - حين تتسربل بأغطيتك - فلتقسم لنفسك إنك لن تخاف.. ولئن فغر الخطر فاه فأدخل رأسك فيه.. لئن غزا الخطر قلبك فاغز قلبه.. لئن جرى الخطر خلفك فلتتوقف.. انتظره!..

* * *

إذن لم يكن كل ما رأيته سوى انعكاس لكابوس قديم.. كابوس منسي منذ الصبا..

- لكنكما رأيتما الفرسان مثلي؟

هتف أحد الفارسين وهو يدور بحصانه المجنح حول الفتى:

- أنت رأيتهم فرسانًا، أما أنا فرأيتهم نمورًا سيفية الأسنان تحاصرك.. وأخي رآهم كريات من اللهب تحاول حرقك..، أنت في (زانادو) أيها المحارب، فلا تثق بعينيك.. ثق بعقلك.. ثق بغريزتك..

- وهل - حقًا - الغبار الذي نقف علية أحمر اللون؟.. والسماء سوداء تقطعها خطوط من الأزرق؟.. وهل لونكما قرمزي ووجهكما بلا ملامح؟

- أنت في (زانادو) أيها المحارب.. أنا أراك تتلوى كأفعى.. وأراك في بحر من المياه الخضراء..، أخي يراك صنمًا حجريًا تحيط به النيران.. لا تثق بعينيك أيها المحارب.. ثق بإدراكك..

- ومن هو الخان العظيم؟

- هو كل شيء مفزع مقيت في هذا العالم.. الخان هو المرض والوهن والجوع..

الخان هو الألم والقسوة والجبن..

- وهؤلاء.. هؤلاء الفرسان أو النمور أو كريات اللهب.. هم جنوده؟

- بل هم هو ذاته..!.. إن الخان هو كل شيء كريه في هذا العالم..

- وأنتم؟.. ثوار عليه؟...

نحن متمردون على الاندماج في ذات الشر..

وهنا ارتجفت شفتا الفتى.. جاء وقت أكثر الأسئلة قسوة:

- كيف جئت أنا إلى هذا العالم؟.. ولماذا؟.. وكيف أعود منه؟.. ثم - أرجوكما أن تصارحاني - هل أنا ميت في دنيا الأشباح؟

بتؤدة دوى الصوت في ذهنه:

- لا أيها المحارب.. أنت لم تمت.. لكنك تحتاج لكل فنون (النافاراي) كي تعود لعالمك..

وسنقول لك كيف..

....

* * *

الرابعة والربع - ***صباح اليوم السادس من مايو..***

أخيرًا - بعد بحث دام ربع الساعة - وجدت ضالتي..

كانت الكرة الشوكية قد سقطت عبر (الدرابزين) إلى بئر السلم السفلي..

وعلى ضوء لهيب قداحتي وجدتها..، ولففتها في منديل صغير..

أما سبب سقوطها هناك فبسيط جدًا..

قط صغير تعس الحظ منكود الطالع صعد في سلم الدار ووجد الكرة، واعتبرها - ذلك المعتوه - كرة خيط بريئة.. عابثها بوسادة

قدمه فجرحته.. ثم سقطت إلى حيث وجدتها أنا..
وبالطبع كانت جثة القط ممددة إلى جوار أحد الأبواب الموصدة مما جعلني أفهم القصة كلها..
الطريف هنا أنه كان حيًا يتنفس، لكنه مصاب بذات الغيبوبة المشئومة مما دلني على أن هذا السم ليس معتمدًا على الجرعة.. فالجرعة التي تخدر رجلًا ناضجًا مثل (هن - تشو - كان) لابد أن تقتل قطًا صغيرًا لو كان هذا سمًا مألوفًا..
على كل حال لقد منحنا هذا القط فرصة أخرى..
سيكون نموذجًا حيوانيًا نجرب عليه أي علاج قبل أن نعطيه للكاهن الأخير..،

ولربما احتجنا إلى تشريحه لمعرفة ما دهاه..

احتضنته في رفق صاعدًا إلى شقتي، وأرحت جسده في علبة من الورق المقوى ابتعت فيها حذائي الأخير.. ثم انتزعت حذائي وارتميت على الفراش بكامل ثيابي، ولا داعي لأن تؤكد لي أن الفراش لا يعلو ويهبط لأنني واثق أنه كذلك.. أكاد أقسم إنه كذلك.....

أنا منهك.. منهـ........

* * *

ريفااااااات!..

من أنت؟..

ألا تعرفني؟.. أنا (الزهرة الزرقاء).. (هن - تشو - كان)... الأخرس.. الكاهن الأخير.. كل هذه الأسماء هي أنا..

أعرفك.. لكني لا أصدق أنك هنا..

بل يجب أن تصدقني يا ريفاااات!.. لا يوجد وقت نضيعه..

ماذا قد أصابك يا (هن - تشو - كان)؟

إنها لعنة (السيرجانتا).. المنفى الإجباري لأعداء (النافاراي).. (جينغ - تشا) عرف السر.. عرفه من كتاب (شوكارا) وتمكن من تحضير تعويذة (السيرجانتا) من جذور أشجار (السرو)..

ولقد أعد لي الكرة الشوكية وملأها بالسائل كي يرسلني - إذا ما هزم أمامي - إلى أرض المنفى حيث لا أموت ولا أحيا..

لكن الكتاب كان معك يا (هن - تشو - كان) طيلة الوقت..

ليس بتلك الصفحة المشئومة يا (ريفاات).. إن كل صفحة من كتاب (الشوكارا) تحوي سرًا سرمديًا.. وقد كانت الصفحة تحوي أسلوب (شانكين) وأسلوب (سيرجانتا) معًا.. الصفحة التي تركتها في الدير حين جئت إلى عالمكم..

(ريفاااات)!.. يجب أن تفعل شيئًا.....

وماذا أفعل أيها الكاهن الأخير؟.. أخبرني بأسلوب مقاومة هذا السم..

للأسف أنا لا أعرفه.. لكنك حكيم وتستطيع أن تجده.. في كتاب (الشوكارا)!..

أنت لا تفهم أيها الكاهن الأخير.. الكتاب لم يعد معي.. أخذه (جينغ - تشا) إلى عالم ناء لا أعرفه.. لم يكن قد قضى نحبه حين رحلت أنت.. دعك من أن الكتاب مكتوب بلغة (التبت) القديمة..، وفهم كلماته مستحيل..

- ماذا تقول؟.. الكتاب مع (جينغ - تشا)؟.. إذن الويل ثم الويل**!**..

الويل لكل البلدان في كل الأزمان.. إن من يملك (الشوكارا) يستطيع حكم العالم.. ولقد كان الكتاب في يد (النافاراي) قرونًا فاستخدموه بحكمة واقتصاد.. أما اليوم.. فقد صنعوا للنمس بابًا في مسكن الدجاج**!**..

- وماذا أفعل إذن يا (هن - تشو - كان)؟..

- لا أدري يا (ريفاااات).. لكنني أعرف أن (جينغ - تشا) سيبحث عنى ويحاول تدميري.. لن يهدأ له بال حتى يتم تدميري..

أنا آخر (نافاراي).. ومهما كان فأنا ما زلت حيًا وقادرًا على الفرار من منفاي لمواجهته.. لهذا سيحاول أن يجدني وأن يفنيني..

سأحاول أن أخاطبك بروحي يا (ريفاااات) كلما أسلمت روحك للجة النعاس لأنها تكون شفافة كمياه (اليانج تسي) إبان الفيضان..

احرص على النوم أكثر ساعات النهار..

وعندئذ سأخبرك بما أبتغي من أرض الواقع..

- والآن وداعًا يا (ريفاااات)!..
- وداعًا (هن - تشو - كان)!..
- وداعًا......

* * *

وكذا صحوت من نومي غارقًا في العرق البارد..
الأرقام الفوسفورية على ميناء المنبه تشير إلى السادسة صباحًا..
صوت شقشقة الطيور بالخارج تتبادل السباب المموسق..
هل حقًا كان كل هذا حلمًا؟..
مستحيل.. لم أر حلمًا بكل هذا الوضوح والشفافية في حياتي.. ولم أر حلمًا بهذا الترابط المنطقي..

أنا واثق من أنني تحولت خلال نومي إلى جهاز إرسال واستقبال لاسلكي لموجات أثيرية بثها لي الكاهن الأخير من مكان ما..

على كل حال سأتبع أسلوب (فرويد) الشهير..

أمسكت بالقلم و (الأجندة) وبخط لا يقرأ شخبطت ملخصًا سريعًا لكل ما قيل وما سمعت في منامي كي اتذكره حين أصحو صباحًا..

وألقيت برأسي على الوسادة - كالصخرة - لأواصل نومًا بلا أحلام..

حتى الثامنة صباحًا حين...

حين وثبت جثة القط من الصندوق.......

* * *

الستون - صباح اليوم الأول من (جاسكا)..

في (زانادو) لا توجد أعوام..

الحياة كلها عام واحد طويل.. فلم يتكرر شهر واحد منذ وجد (زانادو)..

أما عن اسم كل شهر فوليد الخاطر.. يمكنك أن تسميه (جورو) أو (جاسكا) أو (هسبراد) أو حتى (ميكي ماوس).. لا فارق هنالك..

الأدهى أن كل شخص يملك إنهاء شهره بنفسه وفي اللحظة التي يخطر له فيها ذلك.. لذلك قد يحوي اليوم الواحد عشرة شهور!..

الخلاصة: لا وجود لزمن موحد في (زانادو)..
ويعتمد قياس ساعات النهار على عدد الخطوط الزرقاء التي ينسجها في السماء ذلك العنكبوت العملاق (أو على الأقل هذا ما رآه الكاهن الأخير)..
فيبدأ اليوم بخط واحد وينتهي بالسماء وقد صارت سجادة زرقاء..

* * *

معسكر الثوار..
ليس معسكرًا بالمعنى المتفق عليه.. فهناك بعض النيران الخضراء مشتعلة في الرمال، وهناك نهر قرمزي اللون يترقرق فوق الرءوس.. وهناك خيول بيضاء محلقة

بلا أقدام.. وهناك مخ كبير بحجم الجبل تذوب أطرافه، وتغلي مادته العضوية طيلة الوقت..
ومن حين لآخر تلتمع ومضة كهربية عبر نسيج المخ فتردعليها ومضات أخرى ويغرق المكان في ضوء أحمر عجيب..
وكان هناك عدد من الفرسان ذوي الرءوس الشبيهة بالبيض والأجسام القرمزية المفتولة، يروحون هنا وهناك، يتلمسون المخ العملاق، فتضئ رءوسهم بالضوء الأحمر.. ثم ينفصلون ويهيمون من جديد..
ولم يحاول (هن - تشو - كان) إقناع نفسه أنه يحلم..

فهو يعرف تمامًا أنه ما من عقل بشري قادر على الحلم بكل هذا..

* * *

أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث تفنى الحقائق وتحيا الأحلام..

* * *

لم يكن يحلم..
وبفطرته الصادقة أدرك أن هذا المخ العملاق هو زعيم الثوار..
دنا منه ببطء وتروّ.. ثم توقف على بعد أمتار، وأجفل حين رأي المادة اللزجة

السائلة تنساب لتحيط بقدميه كأنها تتفحصهما.. ثم:

- أنت نبيل أيها المحارب.. لك روح نسر وقلب نمر..

لم يدر بم يرد.. كان الصوت ينساب بلزوجة في روحه:

- يا لدمائك الحارة الفتية!.. لكم يتواثب قلبك في صدرك!.. أنت خائف أيها المحارب!

وبدأت المادة اللزجة الفائرة تتسلق ساقه في بطء..

همس (هن - تشو - كان) محاولًا أن يبدو حازمًا لا خائفًا:

- هلّا شرحت لي كل هذا؟.. تبدو لي أكثرهم علمًا..

اندلع صوت فحيح مروع لثوان أدرك الفتى بعدها أن هذا الشيء يضحك!

- هيه هيه هاااف!.. إنك أيضًا مجامل أيها المحارب.. تستطيع أن تدعوني (الأب).. وأنت هنا ضيفي.. وبالتالي أنت ابني..

أحس الفتى بقشعريرة حاول أن يكتمها عن هذا الوحش قارئ الأفكار.. ويل لك أيها (الزهرة الزرقاء).. أنت في عالم يبدو فيه الخير هكذا.. فكيف يكون الشر إذن؟.. وإذا كان زعيم الثوار مرعبًا إلى هذا الحد.. فكيف يكون الخان الذي ثار عليه؟!..

كان (الأب) قد تلقي هذا الخاطر بالفعل لأنه أجاب في تؤدة بصوته اللزج الجشع

كماء يتسرب عبر ثقب في الصخور:

- إن الخان هو كل شيء شرير في هذا العالم.. أنت لا تستطيع فهم ذلك.. لكنه صحيح.. الخان هو النار التي تحرقك والرمال التي تبتلعك والسهم الذي سيغيب في صدرك..، ونحن (الراموس) نحاول أن نظل بمنأى عن سلطانه وألا نندمج في ذاته الكريهة..

- ولكن كيف؟

- بالإرادة.. نحن مصممون على التفرد ومقاومة كل كوابيسه وألاعيبه.. وطالما لم نستسلم ستظل الحرب شعواء، ونظل نحن نعيش حياة الخطر.. أنت كدت تستسلم له أيها المحارب، وكادت الرمال الحمراء تبتلعك للأبد لولا أن أرسلت لك اثنين من

أفضل أبنائي كي يعززا إرادتك وقدرتك على الصمود..

كانت المادة اللزجة عند عنقه الآن.. لكنه قاوم الغثيان وهمس:

- وماذا أتى بي هنا؟

- هاااف! هاااف!.. قليلون هم (النافاراي) الذين جاءوا لعالمنا بعد أن تسمموا بتعويذة (السيرجانتا).. لكن أحدًا منهم لم يعد لعالم الواقع قط.. أنت آخر ضيوفي وستظل هنا تقاوم الخان معنا أو تفنى في ذاته القذرة...

- إذن أنا لم أمت...

- بالطبع لا.. أنت في كابوس لن ينتهي إلا بالنصر أو بهلاكك الحقيقي في عالم الواقع..

- وماذا تريدون مني؟
انساب الصوت في ازدراء:
- أنت الواقع الوحيد في (زانادو) أما الباقون فأوهام.. ولهذا يمكنك أن تنجح فيما لا ينجح فيه الوهم...
وهنا تمسح شيء في قدم (هن - تشو - كان) فأجفل.. ثم دقق النظر..
فإذا به قط.. قط صغير رمادي اللون مبرقش ببقع سوداء.. كان خائفًا مرتجفًا.. يموء بأسلوب يمزق نياط القلوب..
انحنى (هن - تشو - كان) لأسفل وحمل القط الصغير بين أصابعه وتأمله في لهفة.. إنها أول مرة يرى فيها كائنًا طبيعيًا منذ وطأ هذا الكابوس..
وتساءل بحيرة:

- ما هذا القط؟
- أنت تراه قطًا وأنا أراه حزمة من الدخان.. لا يهم.. المهم أنه وافد جديد إلى (زانادو)، ولعله أصيب بلعنة (السيرجانتا) هو الآخر..
ليكونن هذا أخاك إذن..
استجمع (هن - تشو - كان) أعصابه.. كانت المادة اللزجة قد انسحبت بعيدًا عن عنقه لحسن الحظ، فهدأ بالًا.. وقال:
- أعرف أن (جينغ - تشا) أرسلني إلى هنا.. فما هدفه؟.. لماذا لم يقتلني فورًا وكان ذلك باستطاعته..
- الانتقام هو ما أراده.. والانتقام هو ما ناله.. الموت راحة لا يريدها لك، و

(السيرجانتا) أسلوب تعذيب شيطاني قلما يجد شرير خيرًا منه..

- الذئب!.. سأعود وأذيقه الويل.. أقسم على هذا برءوس أجدادي..

ازداد غليان المخ العملاق، وتزايد الضوء الأحمر المنبعث منه إلى حد جعل (هن - تشو - كان) يداري عينيه..

- ماذا حدث أيها الأب؟..

- الخان!.. إنه راض إلى حد كبير.. أشعر بهذا وأحسه.. إن هذا لا يريحني..

وهنا حدث شيء جعل الكاهن الأخير ينتفض..

ووثب القط من يده في هياج مفاجئ..

❋ ❋ ❋



وهنا تمسح شيء في قدم (هن ــ تشو ــ كان) فأجفل .. ثم دقق النظر .. فإذا به قِطٌ .. كان خائفًا مرتجفًا

الثامنة - صباح اليوم السادس من مايو..

للحظة توقف قلبي عن العمل، ومعه توقفت كل وظائفي الحيوية..

لقد صحوت على صوت مواء خفيف ثم فتحت عيني لأرى القط الصغير يثب - وهو مرتخي الجسد كما كان - من صندوقه الورقي..

وثبت أنا الآخر من الفراش، ووقفت على بعد متر من موضعه غير متجاسر على الاقتراب أكثر.. كذئب يتطلع في فضول ورعب إلى نار تتلظى..

كان يختلج.. يختلج كنائم يرى كابوسًا... دام هذا بضع ثوان ثم عاد لغيبوبته الهادئة المنتظمة..

وفي هذه المرة كان عندي الدليل المادي الذي لا يدحض على أنني لا أخرف أو أحلم..

فجثة القط قد كانت بالعلبة ولم تعد فيها..

احتجت لبضع دقائق حتى أتمالك نفسي وألتقط الجسد الصغير وأعيده إلى الصندوق.. وعلى الرغم مني غسلت يدي مرارًا بالصابون والماء فالكحول..

ثم إنني ارتديت ثيابي، ودسست الكرة الشوكية والصندوق في ورقة جريدة.. ونزلت لأركب سيارتي حاملًا هذين

الشيئين العجيبين.. قاصدًا المستشفى لأرى ما حدث هنالك..
أتعشم ألا أجد فراشًا خاويًا أو جثة مغطاة بملاءة بيضاء..

❋ ❋ ❋

وقفت أرمق الفتى الممدد وسط خراطيم المحاليل وخراطيم الأكسجين وخراطيم البول.. خيل إلي أنني أرى أخطبوطًا أو كائنًا فضائيًا..
ولاحظت أن الطبيب النوبتجي عاكف على تثبيت تلك الخراطيم بالشريط اللاصق مما دلني على أنها كانت منزوعة..
سألته في فتور عما إذا كان المريض قد تحرك..

- عمليًا لم يتحرك بل وثب من فراشه منتزعًا كل شيء.. ثم همد مرة أخرى..

- غريب!..

- مهما كان نوع هذه الغيبوبة فهي لا تجلب له السعادة..

هززت كتفي مؤمنًا.. وتأملت الفتى..

أنت الوحيد - يا (هن - تشو - كان) - الذي يعرف معنى ما يحدث لك..

وأنت الوحيد الذي يعرف كيفية إنقاذك.. لكني - أعدك - لن أيأس..

وسأظل معك حتى يعلن الأطباء توقف تنفسك ويحصلون على رسم قلب ورسم مخ مسطحين.. ثالوث الموت الشهير.. عندئذ - أعدك - سأبكي قليلًا وأشعر بالكآبة

إلى حد ما... وأكتب قصتك.. ثم أنسى الأمر برمته!

- هل أحضرت الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة؟!

اللعنة!.. مشرفة التمريض اللحوح تطاردني!..

إن هذه المرأة لا تيئس.. نظرت لها نظرة صارمة فقابلتها بنظرة وقحة..

ثم إنني فارقتها متجهًا إلى كلية الصيدلة لأعرض ما معي على د. (صبحي) - ومن غيره؟ - ليحدس طبيعة السم..

قال لي في تعاسة (فلم يكن قد أفاق من أثر النعاس بعد):

- تحليل كروماتوجرافي جديد؟.. ألا تفعل شيئًا سوى جمع السوائل المريبة

وإحضارها لي لأعرف كنهها؟

- بلى..

قلتها وأنا أشعل لفافة تبغ.. وأضع الكرة الشوكية على النضد.. وأردفت:

- لو كنت أعرف سبيلًا آخر لاتخذته.. خذ الحذر لأن هذه الأشواك قاتلة.. كذا!.. سأعتصرها بالجفت في أنبوب اختبار كما تحلب الأفاعي.. هيه!.. سأقوم بهذا العمل لك.. فقط ناولني أنبوبًا..

وملأت له نصف الأنبوب بالمادة الخضراء.. ثم ألقيت بالكرة الشوكية الفارغة في الفرن العملاق الذي يجففون فيه الأواني.. لا أريد ضحايا آخرين لهذه الكرة.. يكفيها راهب (نافاراي) وقط لهذا اليوم..

على وعد بالإسراع في العمل فارقته، عائدًا إلى المستشفى عساي أجد شيئًا جديدًا.. لكني لم أدخلها..

واستندت إلى السور وأخرجت مفكرتي لأستعيد - على ضوء الصباح ويقظته - ما قاله لي (هن - تشو - كان) في الحلم.. أو الرسالة التي أراد إيصالها لي..

لخصت ما قاله لي في بضع نقاط:

١- هذا الشيء الذي يحدث اسمه (سيرجانتا).

٢- هو مذكور بالتفصيل الممل في كتاب الـ (شوكارا).

٣ - السم مستخلص من جذور نبات (السرو).

٤ - (هن - تشو - كان) لا يعرف سبيل الشفاء.

٥ - (جينغ - تشا) وغد.

٦- يجب أن أنام أكثر لأن (هن - تشو - كان) سيتصل بي في أثناء النوم.

راقت لي - بشكل خاص - النصيحة الأخيرة، لكن الوقت ليس مناسبًا لكل هذا.. ثمة أشياء ينبغي عملها أولًا..

انطلقت بسيارتي إلى سفارة (الصين الشعبية)، وطلبت مقابلة الملحق الثقافي الخاص بها.. وقمت بتقديم ما يثبت شخصيتي..

أدخلوني إلى مكتب مليء بصور (ماو - تسي - تونج) حاملًا كتابه الأحمر الشهير، وخلفه يجلس رجل أصلع الرأس متأنق

صغير الحجم نزع منظاره حين رآني، ونهض مصافحًا ثم دعاني للجلوس.. حاول أن يبدأ حملة الدعاية لبلاده، لكني كنت متعجلا للوصول إلى نتائج..

سألته وأنا أجرع الشاي الأخضر الذي قدمه لي من (ترموس) صغير:

- كنت - بحكم عملي - أبحث عن كتابات عن الطب التقليدي الصيني..

بإنجليزية جيدة. تساءل:

- آها!.. طب تقليدي؟.. تعني (شعبي)؟

- نعم.. نعم.. طب الأعشاب وخلافه..

مرة أخرى نزع منظاره ليتفحصني في ارتياب:

- آها!.. اهتمام مبكر..!.. طب أعشاب في العاشرة صباحًا!.. يا له من حماس!

- إنها اللهفة العلمية كما تعلمون..
ثم قررت أن أكون أكثر وضوحًا:
- ما هي استخدامات جذور (السرو) في الطب التقليدي الصيني؟..
فرك كفيه في حيرة.. وتأمل رفًا يزخر بالكتب خلفه.. ثم غمغم:
- قلت إن اسمك البروفسور (رفعت)؟.. حسن يا بروفسور.. إن هذا الطلب غير تقليدي ويحتاج لبحث مطول.. ثم إنني لن أعطيك كتابًا باللغة الصينية طبعًا.. يجب أن أترجم لك النص..
وعلى كل.. هي هي**!** (ضحكة متكلفة).. يمكننا أن.. هي هي**!**.. نتصل بكم إذا كان... هي هي... لدينا رقم هاتفكم الموقر..

تركت له رقم الهاتف.. وشكرته كثيرًا على لا شيء..
وغادرت السفارة شاعرًا بالضياع.. غير عالم لأين أذهب وماذا أعمل..
لقد اختل روتين حياتي فلم أعد أذكر كيف كنت أمضي أيامي قبل أن أبتلي بهذين (النافاراي) اللذين دخلا حياتي ليفسداها..

* * *

وكذا يا إخوان لكم أن تراهنوا على أنني أمضيت ساعات يومي هنا وهناك، ما بين المستشفى والبيت وأماكن أخرى لا أذكرها..
ثم - وقد تذكرت نصيحة الفتى - عدت لداري عصرًا واندسست في فراشي، طالبًا

النعاس لأكون (شفافًا كمياه اليانج - تسي إبان الفيضان) على حد قول الفتى..
والنعاس قط.. متى حاولت الإمساك به راوغك.. فإن نسيته جاء يتمسح في ساقيك..، وقد كنت أحاول الإمساك به..
أذان المغرب.. لن أستطيع أن أزعم لنفسي أنني لم أسمعه..، نهضت للوضوء.. وصليت ثم أعددت لنفسي وجبة شنيعة المذاق جلست ألتهمها على عجل في المطبخ..
وهنا دق جرس الهاتف فهرعت لأرد متوقعًا خبرًا هامًا.. ولكن..
- مشرفة التمريض تؤكد أنك لم تدفع الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة!
- سحقًا!

وأطلقت سيلًا من السباب - المقذع للأسف - ثم أشعلت لفافة تبغ..

وجلست أسعل وقد تذكرت أنها علبتي الثالثة لهذا اليوم.. لو لم أصب بسرطان الرئة أو الحنجرة أو كليهما خلال أسبوع لعددت نفسي محظوظًا...

الحق أن هذا الاختراع المدمر قد توغل في حياتي إلى حد مرعب.. أدخن حين أفرح وأدخن حين أحزن.. أدخن حين أنهمك وأدخن حين أشكو الفراغ.. قبل الأكل وبعده.. قبل النوم وعند الاستيقاظ.. و.... لكني بلا حيلة تقريبًا.. نقص السجائر يصيبني بشعور ممض من الوحشة..

نعم.. الوحشة هي الكلمة التي تعبر عن هذا....

الحق أنني.....

ترررررن!.. ترررررن!..

هذه المرة لا بد من شيء جديد..

رفعت سماعة الهاتف وقلبي يخفق في فمي كطبول (الزولو):

- هالو... بروفسير (رفعت)؟.. هذا (كيم شانج - لي) الملحق الثقـ....

- نعم.. نعم... قل لي ما تريد فورًا..

- لقد درست ما ذكر عن (السرو) في موسوعة طب الأعشاب الصيني.. وقد وجدت فقط أن أهالي (التبت) القدامى كانوا يصطنعون منه سمًا ذا خاصية تسبب الغيبوبة..

- رائع..!.. وهل ذكر شيئًا عن الترياق؟

- بالطبع لا.. هي هي!.. هي مجرد فقرة من سطرين.. ظننت أنها تهمك..

- الواقع أنها هامة حقًا.. لك جزيل شكري..

صاح في حماس وقد بدأ يدرك كم هو رائع:

- إن (جمهورية الصين الشعبية) لتوجه لك شكرها على اهتمامك المشكور بتاريخها العظيم، وإننا لندعوك إلى المزيد من التغلغل في ثورتنا الثقافية من أجل تحرير البروليتاريا البطلة من براثن الإمبريالية وقيود البرجوازية.. و.....

كليك!..

كنت قد وضعت سماعة الهاتف فالوقت ليس مناسبًا لدراسة الشيوعية..

إن عندي الآن خيطًا لا بأس به..

السم مستخلص من جذور (السرو) ويحدث غيبوبة قلقة.. وقد ورد في كتب الطب الشعبي الصيني..

هل يملك أساتذة علم السموم جوابًا على أسئلتي القلقة؟..

❋ ❋ ❋

العاشرة - *ظهر اليوم السبعين من (ساكاريس)..*

كانت كتلة الهلام العملاقة تتدحرج بسرعة نحوهم.. مضيئة من الداخل.. شفافة.. لزجة.. سلسة الحركة إلى حد لا يصدق..

حاول (الراموس) الفرار من طريقها..

لكنها كانت تتقدم.. فتلتحم بمن يحاول الهرب وتبتلعه داخلها..

عندئذ كنت ترى جسده المتلوي عبر المادة الشفافة.. ثم - بعد ثانية - ترى هيكله

الداخلي وهو يذوب بالتدريج حتى يتلاشى نهائيًا..

وتتضخم المادة أكثر فأكثر..

إن قوام هذه الكتلة هو مئات الأجساد التي ذابت فيها منذ وجدت..

وها هي ذي الكتلة تقترب من الموضع الذي وقف فيه (الأب) و (هن - تشو - كان)..

❋ ❋ ❋

أنت في (زانادو) حيث تحيا الظلال على دماء الموتى.. وحيث يمزج الرعب خمر الفناء لمن ضلوا السبيل..

❋ ❋ ❋

كان (الراموس) يتعثرون فيسقطون تحت الكتلة المريعة..
وفي أغوار عقله سمع الفتى صوت (الأب) المتحشرج المريع يهتف:
- اللعنة!.. لقد أرسل الخان الأخطبوط!
- لكنني أرى أن هذه كتلة هلامية ليس إلا..
- تنسى دائمًا أنك في (زانادو) حيث يرى كل منا ما يخافه.. هناك خطر داهم وكفي!.. لا تستسلموا يا أولادي!.. قاوموا الاندماج!
لكن الخطر كان أقوى هذه المرة من أية مقاومة.. الخيول المجنحة تصيح.. وتحاول الفرار..

الأفق يتحول إلى مساحة شاسعة من الشعر الرمادي الأشهب كأنه ذئب عملاق يتكئ بصدره على الكون..، أما السماء فاستحالت للون أحمر داكن..

وعند قدمي (هن - تشو - كان) صار القط نبتة صبار مذعورة!..

واندلع لسان من اللهب من منخري الفتى..

إنها لهلوسة مريعة تفوق كل ما رأى وسمع..

لكنه لم يفقد إرادته بعد..

- قاوم أيها المحارب.. قاوم.. إنها معركتك الأخيرة..

قالها المخ العملاق وهو يرسل الشرر من حوله، وسرعة ذوبانه تتضاعف، وفقاقيع

حمراء اللون تتزايد فوق نسيجه..

❋ ❋ ❋

عندما تغرب الشمس.. وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق، عندئذ يبدأ فجر (النافاراي)..

❋ ❋ ❋

وثب (هن - تشو - كان) في الهواء فوق الكتلة الهلامية.. دار نصف دورة ثم هبط على قدميه خلفها.. شعر بها تتراجع وتتمدد محاولة لمسه..

فوثب في الهواء مكررًا ما قام به..

لكنه تعثر هذه المرة.. تخلت التربة الحمراء عن قدميه.. ووجد نفسه على الأرض بينما المادة اللزجة تزحف فوق صدره قاصدة وجهه في جشع..

❋ ❋ ❋

"ولئن فغر الخطر فاه فأدخل رأسك فيه.. لئن غزا الخطر قلبك فاغز قلبه.. لئن جرى الخطر خلفك فلتتوقف.. انتظره!"..

❋ ❋ ❋

إنك بداخل الكتلة الآن.. ما أعسر التنفس! لن تدعها تهزمك.. إنها وهم.. وأنت الشيء الوحيد الحقيقي في هذا العالم..

يجب أن تقاوم.. لا تشعرها بالذعر..
إرادتك التي التحمت بمضاء المذنبات وأبدية النجوم لن تنهزم..
أنت (نافاراي).. و (النافاراي) لن يموت داخل كتلة لزجة مقززة..
بل سيموت بسيوف أعدائه أو رماحهم..
قاوم الذوبان.. تماسك.. اسبح نحو سطح الكتلة..
ولكن.. هذا حق..
إنها تتضاءل.. تتضاءل.. رأسك الآن خارجها.. ثم جاء كتفاك.. ثم بطنك.. أنت الآن حر..
الكتلة تنكمش.. إنها الآن في حجم الصخرة.. حجم قبضة اليد..

ثم.. هي ذي بحجم الدبوس.. لقد تلاشت تمامًا..

لقد قهرتها إرادتك إذن..

كنت ملقى على الرمال الحمراء تلهث.. العرق يغمر صدرك..

لكنك كنت ترى المعسكر ومن تبقوا فيه من (راموس).. وترى المخ العملاق المسمى بالأب.. وقد كف عن إصدار الشرار..

وسمعت الصوت المتحشرج يدوى في أعصابك:

- لا بأس أيها المحارب.. لا بأس.. لقد فهمت قواعد الحرب.. وعرفت كيف تقاوم.. ومع محارب مثلك لن يكون على الخان سوى انتظار نهايته..

- أنا (نافاراي).. و (نافاراي) هذا أنا..

هتف (هن - تشو - كان) وهو يلتقط أنفاسه المبعثرة..

لن يزيد الأمر إذن على صراع إرادات.. وهو - الذي شق الصخر بكفه وحلق فوق الأرض - يعرف كيف يكون صراع الإرادات..

❋ ❋ ❋



أنت (نافاراى) .. و (النافاراى) لن يموت داخل كتلة لزجة مقززة .. بل سيموت بسيوف أعدائه أم رماحهم .. قاوم الذوبان .. تماسك ..

أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث الرجال رجال حقًا..

* * *

وهنا لمح في الأفق خطرًا جديدًا..

فمن شعيرات صدر الذئب الأشهب التي اشتعلت فيها النيران، رأى شيئًا ينحدر.. ببطء.. شيئًا هو أقرب لحلقة من النيران الخضراء..

وإذا بالشيء يتدحرج إلى الأرض.. ثم يدور حول نفسه قاصدًا موضعه، والنيران تتبعثر منه في كل صوب وحدب..

وحين تبين (هن - تشو - كان) حقيقة هذا الشيء أدرك أنه حلقة ثمانية.. حلقة ثمانية

كالتي كانوا يمثلون بها تعاليم (بوذا)..
كانت عملاقة بارتفاع خمسة رجال في قطرها..
وكانت تقعقع مبعثرة الهول من حولها..
وتحفز (هن - تشو - كان) لمواجهتها.. فثبت قدميه في الأرض.. وركز إرادته كي يقهر إرادة الخان.. كما فعل منذ ثوان...
العجلة تقترب.. تقترب.. ولم يحدث شيء بعد..
يرى الآن ألسنة لهيبها وتلفحه حرارتها ويخنقه دخانها..
لكن العجلة كانت مصممة.. قاصدة اتجاهه دون أن تدع فرصة للفهم الخاطئ.....
وهنا أحس (هن - تشو - كان) بالخطر..

وثب في الهواء فمرت العجلة تحت قدميه.. وشعر بنيرانها تلسع ساقيه كما لم يشعر من قبل.. وحين هبط على الغبار الأحمر البراق رآها (تفرمل) سرعتها وتدور حول محورها لترجع له معاودة الكرة.....

بدأ يشعر أن هذا الخطر من نوع جديد..

ليس وهمًا كله.. بل - ربما - ليس وهمًا على الإطلاق..

إن العجلة الثمانية ليست شيئًا شائعًا في الكوابيس، وليست مما يستعمله الخان من أساليب..

بل هي تكاد تكون حكرًا على من يعرفون تعاليم (بوذا)..

نعم.. لقد وصلت للحقيقة يا (هن - تشو - كان)..
إن (جينغ - تشا) هنا!..

* * *

العاشرة - ***مساء اليوم السادس من مايو..***

كيف لا ينجح أسلوب معقد كهذا؟..

ها هي ذي الة (الغسيل الكلوي) - أو (الترويق الدموي) حتى لا يتضايق الإخوة العرب - تهدر.. على حين تتسرب دماء (هن - تشو - كان) عبر شرايينه إلى مرشح يقوم باستخلاص ما بها من سموم ثم يعيدها إلى أوردته..

لقد مرت ساعة أو أكثر..

ولكم يا إخواني أن تراهنوا على عدد لفافات التبغ التي أشعلتها حيث جلست في الاستراحة الأنيقة أنتظر.. وأتأمل المشهد

من خلال حاجز زجاجي.. وأدفن سجائري في تلك المطفأة النحاسية القائمة التي لا تستعمل المستشفيات سواها..

قال د. (منير) في سخرية وهو يلقي بجسده جواري:

- هل تطلب من الله ولدًا أم بنتًا؟

يعني أنني قلق كزوج ينتظر خارج غرفة الولادة.. مزاح سخيف طبعًا، لهذا هززت رأسي في اقتضاب.. وأجبت:

- أطلب من الله أن تصمت!..

وهنا خرجت إحدى مشرفات التمريض ودنت مني مبتسمة بوجهها الصبوح.. مما جعلني أتفاءل نوعًا.. لكنها قالت في كياسة:

- لم تدفع الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة!

لو أن النظرات تقتل لتحولت هذه الحمقاء إلى مصفاة تصلح لترشيح الزيوت.. أو شبكة تصلح لصيد الأسماك..

وكانوا قد أخرجوا الفتى على سرير متحرك، الغيبوبة كما هي، لكني أعتقد أن لونه صار أفضل (أو ربما هو خداع البصر)..، وفي تؤدة اقتادوه إلى فراشه حيث أعادوا تركيب الخراطيم والأنابيب..

- ما رأيك..

- لا أدري.. من الصعب الإمساك بتقدم أو تأخر حالة كهذه

- كان من المفروض أن يفيق..

- ربما.. وربما نحن مخطئون.. لكننا لا نملك سوى إعادة المحاولة بعد يومين..

ومن يدري؟.. ربما هو في طريقه إلى الإفاقة..

وعدت لداري وكأن الإحباط هو المحلول المطهر الذي أوضح لي كم أنا متعب ومنهك.. إعياء اليوم كله طفا على سطح بركة أحاسيسي..

لهذا دخلت الفراش وجلست على طرفه فانتزعت جل ثيابي.. ثم تمددت - نصف عار - فوقه، ولا داعي مرة أخرى أن تؤكد لي أنه لا يعلو ويهبط من تحتي.. عقلي الباطن يتثاءب وينثر ثيابه فيتساقط ما بها من وجوه..

(الكاهن الأخير).. (دراكيولا).. (ميدوسا).. (إلهام).. (عزت).. (هويدا).. (العساس).. (أخيروم).. (شاكال)..

(عادل).. (موكاسا)... يا لها من حياة تلك التي أحياها..!..

إنني لشخص عجيييييب...، و......

* * *

(ريفاااات)!.. لماذا تأخرت إلى هذا الحد؟

لم أستطع النوم أيها الكاهن الأخير إلا الآن.. النوم لا يأتي لمجرد أنك تريده.. هل ثمة شيء جديد؟..

أنا منفي يا (ريفاااات) في مملكة الأشباح (زانادو) أواجه الكوابيس، في حين تأبى أن تنام قليلًا من أجلي؟!..

ظننت أنني سأفيدك بعدم النوم أكثر مما أفيدك بالنوم...

خطأ يا (ريفاااات).. قل لهم أن يكفوا عن العبث بجسدي وصب السوائل في عروقي.. فهذا لن يفيد أبدًا إذا كنت تأبى النوم من أجله..

إذن ندفنك وينتهي الأمر؟..

تدفنني وأنا لم أمت بعد؟.. كل ما هناك أن وعيي رحل.. وعيي رحل إلى مملكة الكوابيس (زانادو).. ويوم يفر من هناك سأفتح عيني وأتكلم..

وهل وعيك هو ما يحدثني الآن من هناك؟..

بل هو جزء من روحي يخاطبك.. الجزء الذي يوصل ما بين جسدي ووعيي..

لا أفهم شيئًا يا (هن - تشو - كان).. الواقع أنهم يتحدثون كثيرًا عما يسمى بال

(إن - دي - إي)[2] .. وفيه يصف المشرف على الموت ما يراه ويحسه لأن أجله لم يأت بعد.. لا أومن كثيرًا بهذا الكلام، لكني أتساءل عما إذا كان ما تمر به نوعًا من هذه الخبرات؟...

أنا لا أفقه تعبيراتكم العصرية هذه ولا أجيد ترديدها.. كل ما هناك هو أن وعيي حبيس في عالم آخر.. ويجب أن أستعيده..

هذا جميل.. لكن كيف؟...

أنا لا أعرف يا (ريفاااات) حتى هذه اللحظة.. لكني أوصيك خيرًا بجسدي لأنه - إن تلاشى - فقد انتهيت، وهو ما سيحاول (جينغ - تشا) عمله..

بدأت الرؤيا تذوب.. تتلاشي.. تترجرج كمياه بحيرة تحركها الرياح..

ثم ساد الظلام..

❋ ❋ ❋

يا لك من إنسان ممل!..

أنت لا تقدم لي شيئًا مفيدًا سوى الظهور لي كل ليلة مرددًا أنني ينبغي أن أعمل شيئًا ما.. ثم تختفي دون إرشادات..

❋ ❋ ❋

- آلو؟.. (رفعت)؟

- أظن هذا..

- لقد أنهينا التحليل.. لا يوجد سم معروف في السائل الذي حللناه..

- ومعنى هذا؟..

- معناه أن عليك الاستمرار في الغسيل الكلوي والمحافظة على تنفس الفتى..
- ومعناه أن طريقنا مسدود تمامًا..

* * *

وهكذا - ترون - قضيت أيامي في حيرة بين مكالمات هاتفية لا طائل من ورائها.. وزيارات للمستشفى لا تجدي فتيلًا
لقد طالت غيبوبة الفتى.. طالت..
ويبدو أنني سأعود إلى هوايتي الأصلية: الملل..
تدريجيًا تقل زياراتي للمستشفى.. ودوامة الحياة تجرني معها..، كان ذلك حين قابلت (براكسا) فتاة المقابر.. ولقد نجحت في أن تنسيني الأمر برمته لمدة أسبوع كامل (إن

هذه قصة لا بأس بها.. ذكروني أن أحكيها لكم المرة القادمة، ولكن دعونا لا نشتت أنفسنا هذه المرة)..

على أنني - حين عدت للمستشفى - كنت أملك الحل..

وكان لذلك قصة طويلة......

❋ ❋ ❋

السابعة عشرة - ***مساء اليوم الخامس من (ديلار)..***

(جينغ - تشا) هنا!..

عرف ذلك بينما العجلة تستدير لتلحق به..

وثب إلى أعلى فمرت من تحته، وفي هذه المرة لم يعد ثمة شيء.. لقد اختفى معسكر (الراموس) وتلاشى المخ العملاق المسمى بـ (الأب).. لا يدرى أين ولا متى ذهبوا، لكنه لم يعد يرى سوى الغبار الأحمر الناري.. والسماء التي كادت تمتلئ بالخيوط الزرقاء..

العجلة تتوقف ثم تعود له.. وهو الآن وحيد... وحيد..
ومن طرف عينه استطاع أن يرى جزءًا منخفضًا من الغبار الأحمر.. جزءًا يبدو وكأنه يداري حفرة عميقة..
هو لا يدري طبيعة هذا العالم ولا تضاريسه.. لكنه يملك فرصة..
وقف وخلفه الحفرة ينتظر العجلة..
ها هي ذي تقترب.. تقترب.. تقترب..
لن يفر الآن.. سينتظر أكثر..
اللهب والدخان يتناثر منها، لكنه ثابت في موضعه..
حتى اللحظة الأخيرة.. كان هذا كافيًا.. وسرعان ما وثب في الهواء ليدور دورتين على حين اندفعت العجلة - بالقصور الذاتي

- لتسقط في الجزء المنخفض من التربة مبعثرة الغبار الأحمر في كل مكان.. ومعه الشرر والدخان..

ثم غاصت غائبة عن عينيه..

❋ ❋ ❋



(خينغ ـ تشا) هنا !.. عرف ذلك بينما العجلة تستدير لتلحق به ..

تنفس الصعداء ووقف يرمق المشهد.. فلم يكن كل هذا رديئًا..
حين سمع صوت الضحكة الساخرة..
هاهاهاها!.. هذه النبرة لا يمكن أن تخطئها أذناه..
هاهاها!.. وأدار رأسه مجفلًا فوجد.. (جينغ - تشا) وقد عقد ذراعيه على صدره ووقف على بعد عشرين مترًا يرمق المشهد ويقهقه:
- هاهاها!.. إننا نمرح كثيرًا أيها (الزهرة الزرقاء)!..
(جينغ - تشا) خصمه العتيد..
(جينغ - تشا) الذي أباد أساتذته وأسلم أسرارهم للأعداء..

(جينغ - تشا) الذي ظل عقبة في حياته منذ دخل الدير..
(جينغ - تشا) السبب الرئيسي وراء كل مشاكله.. وعبر الأزمان..
(جينغ - تشا) هنا.. معه في هذا العالم الكابوسي..

* * *

ضحك (جينغ - تشا).. ضحك فرأى الكاهن الأخير قهقهاته تدور في الهواء وتتحول إلى وطاويط حمراء اللون ترفرف ببطء حول رأس عدوه..
- لم تزل بارعًا يا (هن - تشو - كان)!..
تصلب الفتى.. وتقدم ببطء وحذر من (جينغ - تشا) الذي لم يبدل وقفته.. ولم

يتحفز بل احتفظ بالبسمة المتهكمة الواثقة على ثغره:

- لقد تفاديت عجلة (بوذا) ببراعة.. لكن المباراة لم تنته

- (جينغ - تشا)!..

قالها من بين أسنانه بغل.. قالها بمقت.. قالها بحقد.. وأردف::

- كيف جئت إلى هنا وأنت ميت؟.. أنا قتلتك!

- كدت.. لكنني استجمعت قواي وقذفتك بالقنفذ المليء بـ (السيرجانتا)..

وهكذا نفيتك إلى هذا العالم..

- (جينغ - تشا)!

قالها وكأنه يبصق.. لكن المذكور أعلاه لم يعبأ.. وواصل التفاخر:

- عدت لعالمنا وزمننا واستشفيت عدة أيام في أحد الأديرة.. ثم رأيت في المنام أنك قد وجدت طريقة للعودة إلى عالم الأحياء.. لم أكن لأترك هذا يحدث.. وهنا خطر لي أن أتناول السم أنا نفسي.. لم لا؟.. حين ألحق بك هنا سأعرف كيف أذيقك العذاب ألوانًا وكيف أتخلص منك إلى الأبد.. ثم أنا أملك (الشوكارا).. هي معي.. وأعرف كيف أستعملها لأعود إلى عالم الأحياء متى فرغت منك، أما أنت فلا حيلة لك في الفرار.. أنت هنا تحت رحمتي..

- (جينغ - تشا)!

قالها كأنما يقيء ما بمعدته..

- نعم.. (جينغ - تشا).. الذي تحالف مع الخان العظيم وقوى الشر في (زانادو) لأنه

(نافاراي) مثلك، ويعرف ما يفل الحديد..
- أنت لست (نافاراي) ولم تكنه قط..
- ربما.. لكني أعرف كل ما يعرفه (النافاراي)، وقد زادني هذا الكتاب قوة..
وفي قتالنا القادم سيجد (الزهرة الزرقاء) أساليب لم تخطر له ببال..
تلاقت العينان لدقائق.. رجلان يمقت بعضهما البعض منذ خمسة قرون، وقد انسدل بينهما ستار أبدي من الكراهية..
بعد هنيهة همس الفتى متسائلًا:
- لماذا سكن الحقد قلبك إلى هذا الحد؟
- لم يسكن الحقد قلب (جينغ - تشا) لأن قلبه هو تنين الحقد ذاته.. جذوة الكراهية المقدسة..

وارتجف صوته قليلًا.. وخفق صدره وأردف:
- كنت دومًا ضدي.. العقبة التي تحول بيني والنجاح.. منذ الصبا كانوا يقولون لي: أحسنت يا (جينغ - تشا)، لكن (الزهرة الزرقاء) فعلها أفضل منك.. ليتك تغدو مثله.. ليتك تقلده في كل شيء..!.. هل تذكر ممر النيران الراقصة الذي حرمني من أن أكون (نافاراي)؟.. الأخ (ميانج) كان يعلمك كل شيء لأن (الزهرة الزرقاء كالأرض الخصبة التي لا تجحد جهود الفلاح).. ألم يقل ذلك؟.. ألم يفعل ذلك؟
- لم يكن هذا ذنبي.. لا ذنب للزهرة في أن يفضلها الناس على الأشواك.. وليس على الأشواك أن تحقد عليها..

- أنت لست زهرة!!

صاح في عصبية.. ثم استعاد رباطة جأشه:

-.. و (جينغ - تشا) ليس حفنة من الأشواك.. كلانا في نفس العمر.. ونال ذات التعليم، ولكنهم اختاروك أنت.. أنت..، ثم تحالفت مع (الماهايانا) لأنتقم.. فإذا بك تفر بعيدًا حاملًا كل ثمار خيانتي.. لحقت بك هنا لأنتقم.. فإذا بك تقتل رجالي وتوشك على قتلي..

ورفع عقيرته نحو السماء التي بدأ لون الدماء ينتشر فيها.. وصاح:

- لقد نضجت ثمرة الحقد في صدري، ودنا قطافها..!..

غمغم (هن - تشو - كان) وهو يحاول أن يبدو متماسكًا:
- والآن.. ماذا تريد مني يا حليف الشياطين؟
ضغط الفتى الموتور على أسنانه.. وهمس:
- إن كتاب (الشوكارا) معي هنا يا (هن - تشو - كان) - ملفوفًا حول خاصرتي.. وبدونه لا أمل لك في الفرار..
- أعرف هذا..
- سنخوض قتالا مريعًا.. القتال الأخير لنا.. والمنتصر سيحصل على الكتاب ويعود إلى دنيا الأحياء، أما الخاسر فسيفنى في كيان الخان.. إن جسدك يرقد في حوزة

صديقك عاري الرأس.. وجسدي يرقد في عناية رهبان (الماهايانا)..
وحين تنتهي مباراتنا سيلفظ أحد الجسدين أنفاسه لاحقًا بالأجداد.. في حين يفتح الجسد الآخر عينيه ويتكلم..
- والكتاب؟.. كيف يعود به الرابح من أرض الكوابيس؟.. بل كيف سافرت أنت به أصلًا؟
- إن للكتاب وجودًا معنويًا وماديًا.. يمكنك أن تسافر به وتحلم به..
بل هو يجوب عوالم الأحياء والأشباح بحرية مطلقة..
- إذن يا (جينغ - تشا)..
- إذن يا (هن - تشو - كان)..
- فلينتصر صاحب الحق..

- وليهلك واهن الجسد والقلب والعقل!..

....

❋ ❋ ❋

الواحدة - *ظهر اليوم الثمانين من (شينافو)..*

عندما تغرب الشمس، وتلطخ بماؤها ثوب المساء الأزرق.. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي)..

*   *   *

احمرّ لون السماء إلى درجة أنها بدت كبحيرة من الدماء.. وبالفعل بدأت قطرات لزجة حمراء تتساقط منها..
بالواقع بدا وكأن الهواء نفسه صار أحمر اللون..

وفي الأفق ترى المحاربين الجريئين يقفان وبينهما خمسة أمتار.. وقد شرع كل منهما يتأمل الآخر في انتقاد..

ثم إن (هن - تشو - كان) فتح ساقيه وثبت قدميه على الرمال الحمراء:

- تشا سارايانا!

دوت الصيحة فارتج الهواء بها، وتساقطت من السماء قطع من الزجاج الأزرق المهشم.. على حين اتخذ الأفق شكل ثعبان عملاق يتثاءب..

- تشا سارايانا!

رد بها (جينغ - تشا) وهو يتخذ وضعًا مماثلًا..، ومن جديد حلقت الوطاويط وانشقت الارض لتخرج منها أمعاء عملاقة تتلوى محدثة قرقرة!..

فتح (هن - تشو - كان) ذراعيه إلى آخر امتداد لهما:
- جيانغ سارايانا!..
- جيانغ سارايانا!..
عشرات الأيدي المخلبية المتقلصة تشق الغبار الأحمر محاولة الوصول إلى أقدام المتحاربين..
- كيو سارايانا!
قالها (هن - تشو - كان) وهو يعيد رأسه للوراء..
- كيو سارايانا!..
قالها (جينغ - تشا) وهو يقلد ذات الوضع..
إنها معركة النهاية بين الخصمين.. يخوضانها في أرض الكوابيس (زانادو)

حيث كل شيء ممكن..
اليوم لن يكون هناك جريح ولا فار..
فقط سيكون هناك رابح وخاسر.. حي وميت..
الصراع بين الخير والشر في أبسط صوره وأكثرها تسطيحًا..

* * *

أيها السادة.. ترون الخير على يمينكم يرتدي الأبيض والشر على يساركم يرتدي الأسود..
إن أرض الملعب لعجيبة تزري بأية لوحة سريالية لـ (دالي) أو (شاجال).. والأغرب أنها تتبدل في كل ثانية لتختلف تمامًا عن الثانية السابقة..

لحظة يتضح لنا أن المتحاربين واقفان فوق عنق تنين غاضب ينفث النيران.. ثم في اللحظة التالية نجدهما واقفين وسط المستنقعات تتصاعد حولهما أبخرة غاز (الميثان) على حين تزحف التماسيح نحوهما..

الخير - (هن - تشو. كان) - يلتفت حوله فيجد وجوهًا مألوفة أثيرة إلى قلبه.. الأخ (ميانج) والكاهن الأكبر وكل عشيرة (النافاراي) عبارة عن وجوه معلقة في الهواء ترمقه في مودة..

وعبر المساحات الشاسعة يرى جنود الخان على زواحفهم الشرسة، يلوحون بألسنة اللهب.. وينتظرون نتيجة المباراة..

وهنا أدرك - دون جهد - أن وجوه (النافاراي) التي يراها ليست سوى فرسان (الراموس) وقد انعكست عليهم صور من نفسيته..

وتكلم الكاهن الأعظم.. تكلم بذلك الصوت اللزج.. صوت المخ (الأب) قائد الثوار.. قال:

- أضرب أيها المحارب.. إن هذا الرجل هو الخان.. هو الشر بعينه ولئن قتلته لغدوت حرًا!..

وقال الأخ (ميانج) بأسلوبه الرصين:

- لتكن لك خفة النمر وشراسة ذئب الثلوج..

وفي اللحظة التالية انطلق (هن - تشو - كان) كالسهم نحو هدفه..

* * *

لبضع ثوان لم يحدث شيء..

لقد ظل الخير والشر يتحاوران.. يدوران حول بعضهما..

كان كلاهما أستاذًا في التفادي، وبدا الأمر كأن سمكتين صغيرتين تتملصان من يد عملاقة دست نفسها في بحيرتهما..

مئات الركلات يوجهها (هن - تشو - كان) لتصفر في الهواء، لكن (جينغ - تشا) يثب وينحني ويتفاداها..

يوجه - بدوره - مئات اللكمات التي يتملص منها (هن - تشو - كان)..

ولكن - حين حدث الصدام الأول - التمعت السماء بضوء البرق.. ودوى هزيم

الرعد.. ثم بدأ مطر من الجليد القرمزي فوق الرجلين..
لقد أصابت قدم (جينغ - تشا) عنق خصمه في نقطة (شورا) حساسة..
وفي السماء انفجر وجه الأخ (ميانج) ليتطاير منه سرب من النحل..
لكن الركلة عطلت توازن (جينغ - تشا) الفائق.. مما مكن (هن - تشو دكان) من ضربه برأسه في صدره ليسقط (جينغ - تشا) فوق الرمال..
وتتالت ركلات (هن - تشو - كان) الرشيقة السريعة بمشط قدميه (اليمني فاليسرى على التوالي) حتى انفجر الدم من فم (جينغ - تشا)..
وببطء أدار رأسه ثم سقط ميتًا!..

صاح (هن - تشو - كان) في هستيريا:
- سوان هاتشاه سارايانا!
ووثب نحو الجثة ليتفحصها.. حين سمع الضحكة.. قادمة من أعلى - الضحكة - لم يكن من الممكن ألا تكون لغيره.. (جينغ - تشا)!.. حقًا!.. هو كذا.. ولكن كيف؟.. إنه جثة ملقاة على الأرض..
هو ذا (جينغ - تشا) واقفًا على قمة الجبل يرمق المشهد في ثقة وسخرية، مستمتعًا بكل هذا:
- أنت بارع يا (هن - تشو - كان).. لكنك كنت تقاتل سرابًا صنعه لك الخان العظيم!.. لم يكن ثمة ما يدعو لإضاعة جهدك بينما أنا هنا طيلة الوقت!

ورفع إصبعه أمام عيني (هن - تشو - كان) الذاهلتين..

- يسمونه أسلوب (المرآة).. ويهدف إلى استنزاف قدرات الخصم في معارك وهمية مع أطياف.. إنه مأخوذ من (الشوكارا)..

- من المؤسف أنني لم أجد وقتًا لدراسة (الشوكارا).. كنت دائمًا مشغول البال بحمايتها وإخفائها..

- أما (جينغ - تشا) فيحفظ كل حرف فيها...

وفي اللحظة التالية وثب خمسة من (جينغ - تشا) على (هن - تشو - كان)!

كلهم متماثلون.. كلهم حانقون.. كلهم سريعو الحركة كالبرق..

- هذا تطبيق أوسع لأسلوب (المرآة) أيها الكاهن الأخير.. من منهم هو أنا؟!..
بالتأكيد (جينغ - تشا) هو الواقف على الجبل.. ولكن.. لماذا بالتأكيد؟.. ربما هي صورة خادعة بينما (جينغ - تشا) الحقيقي هو.......

كانوا يتحركون برشاقة جميعًا.. وحركاتهم متناسقة كرقصة مدروسة.. اثنان يتراجعان بينما يهاجمه ثلاثة.. ثم يتراجع اثنان وينقض ثلاثة.. ثم يختفي واحد ليظهر وراء ظهر (هن - تشو - كان) في الثانية التالية..

كان يتفادى كل هؤلاء.. لكنه لم يعرف قط أين يوجه ضربته..

* * *



ووثب نحو الجثة ليتفحصها .. حين سمع الضحكة .. قادمة من أعلى
الضحكة ـ لم يكن من الممكن ألا تكون لغيره ..

أنت في (زانادو) أيها المحارب.. فلا تثق بعينيك.. ثق بعقلك.. ثق بغريزتك..

* * *

يا له من مأزق!

كل ضرباتك بلا جدوى فلا ترتطم سوى بوهم..، وأنت لا تجرؤ على الوقوف ساكنًا وادخار قواك لأن أحدهم قد يكون هو.........

المشكلة أن الغبار الأحمر يتبعثر تحت أقدامهم جميعًا..

وكلهم يتركون ظلًا..

فما هو الحل إذن؟...

ثق بغريزتك.. ثق بغريزتك..

غريزتك تقول إن كل هؤلاء أطياف..
ليس خصمك واحدًا منهم..
إذن توقف..
دعهم يهاجموك..
ولتر النتيجة..

❋ ❋ ❋

الثامنة - ***صباح اليوم الثالث عشر من مايو..***

كنت منهكًا بعد عناء مغامرتي مع (براكسا)..

وكنت ملقى - كالوسادة - فوق فراشي حين ولول جرس الهاتف، فهرعت مترنحًا لأرد وأنا أشعر كأني لم أفق بعد من عالم الحلم..

- مريضك الآسيوي..

- هل مات أخيرًا لحسن حظي؟

- كلا.. هو يتلوى كالدودة ويئن محاولًا تمزيق الخراطيم، وقد اضطررنا إلى ربطه في الفراش..

- وهل تتهمني بأنني السبب؟
- بل ظننت أن الأمر يهمك..
- إنه يهمني.. شكرًا لك..
- أ.. بالمناسبة.. مشرفة التمريض تذكرك بتأمين العناية المركزة!
.... كليك!
ما الذي يحدث للفتى؟.. لقد كف عن الاتصال بي في المنام منذ أسبوع تقريبًا.. ولا أدري ما دهاه.. ولا أعلم أي تقدم حققه..
كانت جثة القط بعد في موضعها في العلبة الورقية، وكنت أعلم أن المسكين سيموت جوعًا حتى إن لم تقتله الغيبوبة، لهذا كنت أقدم له وجبات منتظمة من اللبن

عبر محقن وأنبوب بلاستيكي صغير أدخلته من فمه إلى أمعائه..

هذه هي الطريقة الوحيدة التي وجدتها لأنني بالطبع لن أعطيه سوائل وريدية..

كان حيًا.. حيًا كأفضل ما يكون.......

لكن جثته بدأت ترتجف وكأن الكهرباء تسرى فيها..

ترتجف.. ترتجف..

تراجعت للوراء وقد أدركت أن شيئًا ما ليس على ما يرام..

شيئًا شريرًا يحدث بالتأكيد....

❋ ❋ ❋

الثالثة - ***فجر اليوم السادس من (هوردام)..***

كان حدسه صائبًا..

فلم تؤثر فيه ضربات أي من المحاربين الخمسة..، وبدأ يفهم أنهم جميعًا أطياف وهمية.. أما آثارهم على الرمال و ظلالهم فجزء من الوهم..

وهكذا سار بينهم في تؤدة يتلقى ركلة هذا ولكمة ذلك دون تأثير يذكر..

سوى - بالطبع - بعض الاضطراب الغريزي الذي يحاول دفعه للاختباء..

ولكن.. أين (جينغ - تشا) الحقيقي؟

* * *

أسلوب الحرباء:

ابتدعه المعلم العظيم (شو - هان - كه) في عام التنين المائة.. وبه يستطيع محارب (النافاراي) أن يسمح للنور بالمرور من أعضائه.. ويغدو شفافًا لا يراه العدو.. يحتاج لساعات طوال من التأمل..

تلقى (هن - تشو - كان) الضربة على ضلوعه فأنّ وسقط أرضًا...

لم يحتج لكثير جهد كي يعرف أنها حيلة جديدة من (جينغ - تشا) تجعله غير مرئي..

إن كتاب (الشوكارا) لخطير بحق!.. كل هذه الأساليب الجهنمية في يدي شيطان

مثل (جينغ - تشا).. الويل!..
شرع يتقلب في الرمال الحمراء بحركات عشوائية محاولًا تفادي ضربات لا يراها.. ثم نهض.. وأخذ يدور حول نفسه في توتر..
انهالت الصفعة على قفاه، فاستدار ليوجه ركلة إلى ما حسبه مصدرها.. وطبعًا لم يكن هناك سوى الفراغ.. غلت دماء كرامته.. وفار بركان غضبه..
وفي اللحظة التالية رفع قبضتيه إلى جانبيه وقدمه اليسرى إلى خاصرته..
ثم دار بسرعة البرق حول نفسه عدة دورات، وبنفس السرعة مسح الاتجاهات الأربع.. حتى.....

اصطدمت قدمه - في رقصة الباليه الدموية هذه - بشيء طري أدرك أنه أسفل بطن خصمه الخفي.. وسمع الصرخة الدامية..

اخضرت السماء.. وتحولت إلى كتلة من الديدان المتلوية في حين برزت عين عملاقة محملقة من التربة الحمراء..، وعلى الأرض تمدد (جينغ - تشا) يئن بعد ما صار مرئيًا وقد أفقده الألم قدرته على التركيز..

هتف (هن - تشو - كان) في انتصار، وهو يلهث:

- يسمونه أسلوب (المحراث) يا (جينغ - تشا).. ويصلح لمنع عشرة رجال من

مهاجمتك إذا كنت ضريرًا.. أحسب أنك لا تعرفه؟

تلوى الفتى كالثعبان حول نفسه.. ثم هتف:

- وآآآآآه... لا أعرفه.. وآآآآآه!.. لقد كنت سريعًا كفهد جريح..

- (النافاراي) يرث سرعة البرق من أمه الطبيعة..

- لكني سأدبرك أيها الزهرة الزرقاء!..

* * *

أسلوب (الزلزال):

ابتدعه المعلم الحكيم المقدس (شاشكين - كوا) في عام القنفذ العاشر..

وبه يستطيع محارب (النافاراي) أن يذهل خصمه ويزلزل حواسه بمجرد إطلاق صرخة وحشية عالية..

وصرخ (جينغ - تشا).. صرخ كأفضل ما يكون..

اهتزت السماء الحمراء وانكسر جزء منها كاشفًا عن ثغرة تتسرب منها مياه البحر الزرقاء إلى هذا العالم..

كانت صرخة عاتية مريرة طويلة ممزقة مزلزلة محطمة..

وأحس (هن - تشو - كان) أنه يغوص في الأرض وأن يديه تزنان أطنانًا.. لكنه لن يغيب عن الوعي.. حتمًا لن يغيب عن الوعي..

يحتاج (جينغ - تشا) لأساليب أقذر من هذه كي يقهره..

* * *

أسلوب (البندول):

ابتكره الأستاذ (تشي - وا - صن) في عام التتين العاشر بعد المائة.. وبه يستطيع محارب (النافاراي) أن يصيب خصمه بالدوار عن طريق الحركة الرحوية السريعة مع الاهتزاز صعودًا وهبوطًا.

أخذ (جينغ - تشا) يمارس هذا الأسلوب مع خصمه..

ولم يستطع الكاهن الأخير أن يصدق كل هذه البراعة وسرعة الحركة..

دار رأسه ومعه دار العالم.. وتحول الأفق إلى بئر عميقة.. حاول أن يغمض عينيه، لكنه ظل مشدودًا مسحورًا إلى المشهد.. مشهد الدوامة التي تدنو منه وتتنأى.. تروح وتجيء.. كلا!.. لا تستسلم!.. أرجوك..

واخيرًا استجمع قواه واندفع صارخًا إلى مكان فارغ جوار الدوامة..

ووجه أعنف ركلة وجهها في حياته.. وبعد ربع ثانية طار (جينغ - تشا) في الهواء الأحمر ليسقط على الرمال متلويًا.. وسقط (هن - تشو - كان) إلى جواره.. وسمع صوت (جينغ - تشا) المتحشرج يتساءل:

- كيف فعلتها؟

- الصياد لا يطلق سهامه على موضع الطائر المحلق.. بل على الموضع الذي يقدر أن الطائر سيكون فيه حين تصله السهام!

ولكن.. لماذا يضيع فرصته؟.. لماذا يثرثر؟..

ها هي ذي فرصته سانحة.....

* * *

تغلي حمم البراكين.. تشتعل الأشجار في غابات (التايجا).. ينفجر النجم الأحمر.. تفح الأفعى.. يزأر النمر وينقض.. يتهشم الجبل.. معًا.. حين يكور الكاهن الأخير قبضته، ويهرع نحو خصمه الساقط على الأرض لينهى قتالًا طال..

يا أرواح الأجداد المقدسة استرقى النظر.. وأصغي.....
يا كل محاربي (النافاراي).. تعالوا لتروا.....
حين تصل هذه القبضة إلى هدفها سيكون (جينغ - تشا) كتلة من العظام المهشمة.. وستروي دماؤه رمال (زانادو) الحمراء..
وعلى طريقة (النافاراي) برز الإصبع الوسط والإبهام من القبضة لتحاكي رأس الكبش البري، فيكون تدميرها قاتلًا..
ليس من شيم (النافاراي) مهاجمة خصم راقد على الأرض.. لكن الرأفة حمق إذا تعلق الأمر بالأفاعي.. و (جينغ - تشا) أفعي..

* * *

الضربة عنيفة.. عنيفة..

تناثرت أشلاء جنود الخان في الفضاء.. وانفجرت العين الجاحظة من الأرض.. واشتعل الأفق بالنيران..

وعلى الأرض سقط (جينغ - تشا) غارقًا في العرق والدم..

هرع (هن - تشو - كان) إليه كي يفتش ثيابه بحثًا عن كتاب (الشوكارا)..

انحنى جواره راكعًا على التراب الأحمر وشرع يبحث.. لابد أنه موجود معه.. لا يمكن لمحارب (نافاراي) - أو من يعرف أسرارهم - أن يتنقل دون أن يحمل الكتاب معه.. لابد أن.........

- والآن... أيها (الزهرة........)..
كان هذا هو (جينغ - تشا) الذي استجمع قواه.. فجلس على حين غرة وقد قبض بأنامله على حنجرة (هن - تشو - كان).. قبضة مخلبية لا فكاك منها تكاد تنتزع الحنجرة انتزاعًا، وشعر الكاهن الأخير بساقي خصمه تلتفان حوله لتثبتاه في موضعه..
طوح بذراعيه يمينًا ويسارًا محاولًا عمل شيء ما..
لكن الفتى كان صلبًا برغم كل شيء.. وكان بعيدًا عن مجال الضربات..
- غاااااه!
- هذه.. هي... لا.. لعبتي الأخيـ... ـرة.. إن حـ.. حنجرتك لي!

قالها وهو يواصل الضغط بأصابع لا تقهر على حنجرة (هن - تشو - كان)..
وعلى وجهه ابتسامة صفراء قاسية.. كان ينزف.. ويلهث.. لكن الحقد كان يحرك بقاياه كما تظل العربة مندفعة بعد موت الحصان الذي يجرها..
- غااااااه!.. غاااااه!

❋ ❋ ❋

العاشرة - ***صباح اليوم الثالث عشر من مايو..***

- غااااه... غااااه!

ماذا دهاه؟.. افعلوا شيئًا!.. لربما انسدت أنبوب القصبة الهوائية.. أو حدث عطل في جهاز التنفس.. لا تقفوا هكذا كشواهد القبور..

هرع د. (منير) يتفحص الأجهزة والوصلات.. ثم هز رأسه ألا مشكلة هنالك.. لا يوجد تفسير لكل هذا..

- إذن فهذا كابوس؟

- حتمًا..

- لكن الكابوس لا يسبب إزرقاق الشفتين..

هز د. (منير) رأسه في سأم.. وغمغم:

- إن كل ما يحدث غريب وغير معتاد، ولا يمت للطب بصلة.. فلن أدهش إذا ما طار هذا الفتى أو بدأ ينهق كالحمير..

ثم نظر إلى الطبيبين الجالسين جواره.. وتساءل وهو ينهض..

- هل كل شيء معد لجلسة الغسيل الكلوي؟

- كل شيء..

- إذن هيا بنا.. ولنأمل ألا تحدث كارثة ما.. إنها المرة الثالثة ويعلم الله وحده ما قد تجلب علينا..

*   *   *

السادسة عشرة - ***ظهر اليوم المائة من (فالتاري)..***

لقد بدأ الوجود يظلم.

إنها النهاية يا (هن - تشو - كان).. فاستسلم.. ولم يدر متى سمع الزئير.. ولم يدر معناه حين سمعه..

لكنه حين سمع صراخ (جينغ - تشا) الشنيع.. أدرك أن شيئًا ما يحدث ها هنا..

وبدأت الكلابة الحديدية تتخلى عن حنجرته..

وعاد الضوء إلى الكون..

عندها فتح عينيه ببطء فرأى (جينغ - تشا) منكفئًا على وجهة غارقًا في الدماء

بينما يده المتقلصة ما زالت على عنق (هن - تشو - كان)..

أما الذي كاد يوقف الدم في عروقه فهو النمر..

النمر العملاق ذو الأنياب الذي وقف جوار جثة (جينغ - تشا) يلعق شفتيه وأنيابه السيفية بلسانه..

لقد أجهز على الفتى إذ عضه في خاصرته.. وبالتالي أنقذ حياة (هن - تشو - كان).. أنقذها في آخر لحظة..

كان النمر عملاقًا.. عيناه كجمرتي نار.. لكنه كان ساكنا يقف في رصانة وتؤدة كأنما هو فخور بما فعله..

وببطء نهض (هن - تشو - كان) وزحف على ركبتيه متوقعًا أن يثور الوحش.. لكن

هذا الأخير ظل ساكنًا يرمقه في لامبالاة..
جوار جثة (جينغ - تشا) تربع.. ومد يده بين طيات الثياب باحثًا عن ضالته.. ها هو ذا الحزام السميك.. ويداخله.....
أخيرًا!.. كتاب (الشوكارا) في يده..
لقد تلوث بالدماء لكنها ظلت على حواف الصفحات لحسن الحظ..
أما المفاجأة الأروع فكانت قنينة صغيرة تشبه الأنبوب..
قنينة تحوي سائلًا أزرق اللون عطر الرائحة..
بالتأكيد ليس هذا سمًا.. إن (جينغ - تشا) لا يملك تحضير المصل المضاد لـ (السيرجانتا) في هذا العالم... وبالتالي فمن

المنطقي أنه أعده مسبقًا ليحمله معه إلى (زانادو)..

ولما كانت ثيابه لا تحوي سوى هذه القنينة فبالتأكيد هي المطلوبة..

وهنا بدأت جثة (جينغ - تشا) تتشقق.. وبدأ الطحلب يخرج من شقوقها معلنًا نهاية الكابوس..

تلفت حوله فوجد فرسان (الراموس) والمخ (الأب) واقفين.. وسمع (الأب) يقول بصوته المتحشرج اللزج:

- أحسنت أيها المحارب.. قهرت أعتى جنود الخان.. الجندي الذي لم يكن قط وهمًا وكان يملك أن يغير كل شيء!..

- وهذا النمر المفترس.. إنه ليس وهمًا.. لكن من أين جاء؟

سمع صوت الحشرجة المريع فأدرك أن (الأب) يضحك:

- هاااف!.. هاااف!.. أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث لا تصدق كل ما تراه.. هذا النمر - الذي أراه أنا عنقاء ضخمة - ليس سوى أخيك القط الذي لحق بك من عالمك..!..

- مستحيل!.. لقد نسيه قلبي طويلًا.. ولكن كيف استطاع أن يقتل (جينغ - تشا)؟

- أنت لا تدري كيف رآه.. ربما رآه تنينًا أو غولًا عملاقًا..

- ولكن كيف يقتله؟

- أنت في (زانادو) أيها المحارب حيث تُسيل الأوهام الدماء كما تسيلها الحقائق!

*   *   *

العاشرة والنصف - ***صباح اليوم الثالث عشر من مايو..***

مرة أخرى تعاود الأجهزة هديرها محاولة تنظيف دم الفتى..

وكنت أنا أدخن كدبابة من مخلفات الحرب العالمية..، وأجلس إلى جوار د. (منير) نتأمل المشهد..

وإلى جانبي العلبة الورقية حيث يواصل القط سباته القلق المليء بالكوابيس.. لم تعد هذه العلبة لتفارقني بعد اليوم..

ونظرت إلى ساعتي.. العاشرة والنصف.. لا أدري ما سر اللهفة التي تنتابني وكأني بحاجة إلى اللحاق بموعد نسيته تمامًا..

غريب هذا!...

❋ ❋ ❋

الثالثة - *صباح اليوم العاشر من (أفيانتا)..*

أخيرًا.. عاد اللون الأسود المحبب للسماء وعاد العنكبوت العملاق ينسج خيوطه.. وعلى الرمال الحمراء وقف (هن - تشو - كان) وسط فرسان (الراموس) يمسك بيده القط الصغير الذي لم يعد يراه سوى قط صغير..

- والان أبدأ التجربة..

قالها المخ العملاق.. وكان (جينغ - تشا) قد تحول إلى كتلة من الطحالب الزرقاء عند قدمي المحارب الأخير..

في حذر رفع (هن - تشو - كان) القارورة.. وفتحها..، ومد إصبعه الإبهام في فم القط متجاهلًا أنيابه.. وسكب السائل فيه.. قطرات معدودة..

كان لابد أن يجرب..

فمن أدراه - برغم كل شيء - أن هذه ليست حيلة أخيرة من (جينغ - تشا)؟..

ولثوان طفق ينتظر....

بدأ القط يتلاشى.. جسده يبهت بالتدريج.. فجأة لم يعد هناك..

وأدرك (هن - تشو - كان) أن الترياق ناجع..

لقد عاد وعي القط إلى عالم الأحياء.....

❋ ❋ ❋

الحادية عشرة - ***صباح اليوم الثالث عشر من مايو..***

غريب هذا!.. لقد فتح القط عينيه!..

إن هذا مذهل.. إنه ينهض.. يثب من الصندوق.. يمط أقدامه ويكور ظهره ويتثاءب بعنف كأنما يحاول انتزاع لسانه من مكانه!..

أصابني البكم أنا ود. (منير) وشرعنا نرمق المشهد في بلاهة..

- من أتي بهذا القط ها هنا؟

دوى صوت مشرفة التمريض إياها وقد هالها أن ترى قطًا في العناية المركزة التي

تديرها، صرخت في هستيريا وولولت.. ثم إنها صاحت ما إن رأتني:

- إنه ملكك، أليس كذلك؟.. تمتنع عن دفع تأمين العناية المركزة لمدة أسبوع ثم تتسلى بإحضار القطط الضآلة معك؟.. إن هذا لا يطاااااااااااق!.. هي ي ي ي!

وانفجرت في البكاء الهستيري.. وتهانفت فوق مقعد جلدي تنعي طالعها..

أما أنا فكنت شارد الذهن عن كل هذا.....

كنت في (زانادو).....

* * *



غريب هذا !. لقد فتح القط عينيه !.. إن هذا مذهل .. إنه ينهض ..
يثب من الصندوق ..

الواحدة - **مساء اليوم الثالث من (كاسبوس)..**

حانت لحظة الحقيقة..

في صمت يرفع (هن - تشو - كان) القنينة إلى فيه..

وبحذر يجرع الجرعات الأولى من السائل..

كان عطر المذاق حادًا قليلًا.. وأحس بدوار خفيف، لكنه تجاهله وفرغ من باقي الجرعات.. ورفع عينيه ليرى الخواء من حوله..

ساد الصمت.. لا شيء سوى صوت لهاثه.....

الكتاب في يده اليسرى والقنينة في اليمنى.. وآلام الترقب..... ثم.....

* * *

الحادية عشرة والربع - ***صباح اليوم الثالث عشر من مايو..***

وحين فتح عينيه..

وحين ارتجفت شفتاه.. وحين تحرك رأسه واختلجت يداه..

وحين هرعت ملهوفًا إلى الحجرة لأنتزع أنبوب القصبة الهوائية..

وحين فرغ من سعاله ودموعه.. وجلس في الفراش يرتجف..

عندئذ أدركت أن (هن - تشو - كان) قد عاد إلى عالمنا..

انتصر المحارب الأخير على الغيبوبة.. وعالم الأوهام..
كان في يده كتاب (الشوكارا).. لا أدري متى ولا كيف قبض عليه..
وفي اليد الأخرى قنينة صغيرة خاوية..
أما أول ما قاله فكان بلغته التي لا أعرفها.. لكنني فهمته لأنه لا محل لكلمة أخرى تقال في هذا الموقف..
- أين أنا.......؟
-.......

❋ ❋ ❋

خاتمة..

انتهت أسطورة (النافاراي)!..

انتهت قصة المحارب الذي عبر خمسة قرون وآلاف الأميال كي يجيء إلى عالمنا.. وعبر حاجز الواقع كي يصل إلى أرض الكوابيس..

حقًا لا أعرف الحقيقة..

هل (زانادو) و (الأب) و (الراموس) وصراعه مع خصمه.. هل حدث كل هذا حقًا أم هي مجرد هلوسة انتابته في غيبوبته وحكاها لي؟

هل ما أعاده لدنيانا قنينة الترياق أم الغسيل الكلوي الذي أجريناه؟

لكن عندي دليلين هامين على صدقه..
الدليل الأول: هو إقحامه للقط في القصة.. وهو لا يعرف أن هناك قطًا..
الدليل الثاني: أنني وجدت الكتاب في يده حين أفاق..
لقد كان (هن - تشو - كان) في عالم مواز غريب يمكن أن يحدث فيه كل شيء وأي شيء..
لكنه أثبت أنه الأفضل كالعادة.. والأكثر براعة وتوفيقًا..
والأهم أنه لم يعد يخشى أحدًا في عالمنا الذي صار آمنًا تمامًا..
إنني سعيد بهذه النتيجة لأنني - أعترف - وقعت في هوى هذا الفتى الشريف الباسل كأبطال الأساطير الإغريقية..، وقعت في

هواه برغم فاتورة المستشفى التي دفعتها بالكامل وتسببت في خراب بيتي.. ففي لحظة الدفع لا تجد واحدًا من أية سفارة آسيوية يعرض خدماته الثقافية!..

وبعد فترة نقاهة لا بأس بها، عاد (هن - تشو - كان) للإقامة معي في داري..، وكان أن قابل الملحق الثقافي الصيني معي وأفهمه أنه من مواطني (التبت).. وأنه تربى في (مصر) ويريد أن يعمل في سفارة (الصين الشعبية).. وأنه - بالطبع - لا يملك أوراقًا تؤيد كلامه!

وقد كان..

وأنتم تذكرون دون شك أن الفتى كان يعمل مترجمًا في تلك السفارة، لأن عربيته لم تكن سيئة على الإطلاق في تلك الآونة..

ووجدت له مسكنًا لا بأس به، ونجحت في جعله يذوب وسط مواطنيه الذين لا يتخيل أحدهم أي سر يطويه الفتى تحت ثيابه العصرية الأنيقة وأدبه الجم..

لا أنصح أحدكم باستفزازه.. فهو مسالم جدًا، لكنك لا تدري متى يقرر أن يستخدم أسلوب (السارايانا).. عندئذ أنت الملوم ولا أحد غيرك..

بعد ذلك بفترة كانت له مغامرة لا بأس بها مع وحش وطنه رجل الثلوج (المي - جي).. ذكروني أن أحكيها لكم يومًا ما.. ماذا تقولون؟..

حكيتها في الكتيب الثاني عشر؟!. معذرة... يبدو أن تصلب الشرايين قد نال من ذاكرتي بالفعل..

على كل حال لم تنته ذكرياتي مع (هن - تشو -كان)، وسأحكي لكم المزيد إذا راقت لكم حكاياته..

والآن نعود للحديث عن الأحداث الكابوسية التي عشتها في ذلك الأسبوع الذي سبق عودة (هن - تشو - كان) لعالمنا.. الأحداث التي كادت تنسيني كل شيء عن الفتى، بل وكادت تودي بحياتي في الواقع..

إن الحديث عن المقابر محبب للنفس.. نفس الأشباح على الأقل..

وقد كانت (براكسا) تحب الحديث عن المقابر.. وكنت أنا.......

ولكن.. معذرة...

إن هذه قصة أخرى..

د. رفعت إسماعيل
القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية

الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

مقدمة

فلننعش ذاكرتنا!

العاشرة والنصف - مساء اليوم الخامس من مايو..

الحادية عشرة والربع - مساء اليوم الخامس من مايو..

الحادية عشرة والنصف - مساء اليوم الخامس من مايو..

الحادية والأربعين - ظهر اليوم الخمسين من (هسبراد)..

الواحدة والنصف - صباح اليوم السادس من مايو..

العاشرة - صباح اليوم الرابع من (جونو)..

الرابعة والربع - صباح اليوم السادس من مايو..

الستون - صباح اليوم الأول من (جاسكا)..

الثامنة - صباح اليوم السادس من مايو..

العاشرة - ظهر اليوم السبعين من (ساكاريس)..

العاشرة - مساء اليوم السادس من مايو..

السابعة عشرة - مساء اليوم الخامس من (ديلار)..

الواحدة - ظهر اليوم الثمانين من (شينافو)..

الثامنة - صباح اليوم الثالث عشر من مايو..

الثالثة - فجر اليوم السادس من (هوردام)..

العاشرة - صباح اليوم الثالث عشر من مايو..

السادسة عشرة - ظهر اليوم المائة من (فالتاري)..

العاشرة والنصف - صباح اليوم الثالث عشر من مايو..

الثالثة - صباح اليوم العاشر من (أفيانتا)..

الحادية عشرة - صباح اليوم الثالث عشر من مايو..

الواحدة - مساء اليوم الثالث من (كاسبوس)..

الحادية عشرة والربع - صباح اليوم الثالث عشر من مايو..

خاتمة..

روايات
مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايـــات تحـبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة النافاراي

لا نـريد ضـوضـــاء ..
لا نـريد صـخـبـًا، لا نـريـد صرخات هلع ولا هتافات إستحسان .. إن الكاهن الأخير يخوض آخر معاركه، ويحتاج إلى أكبر قدر مـن التركيز. خذوا مقاعدكم يا ســادة وانكمشــوا فيهـا .. لأن هزيمة الكاهن الأخير تعنى نهايتنا نحن ..
لا نريد صفيرًا .. لا نريد سوى الصـمـت البـلـيـغ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة حسناء المقبرة

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

زانادو: هي مملكة خيالية عاش فيها (قوبلاي خان) في قصيدة (كبلنج) الشهيرة المسماة بنفس الاسم.

[←2]

(N.D.E)الحروف الأولى من عبارة (تجربة الدنو من الموت).